اللسانيات الاجتماعية والترجمة

تطبيقات على ترجمات

من اللغة العربية وإليها

بقلم الأستاذ الدكتور

عبدالمنعم السيد أحمد جدامي

أستاذ اللسانيات بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية

تم دعم هذا البحث من خلال البرنامج البحثي العام بعمادة البحث العلمي- جامعة الملك خالد- المملكة العربية السعودية (رقم المشروع ١٠٦ ـ سنة الدعم ١٤٤٠ هـ).

العدد الثالث والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(شكر وتقدير)

(الباحث يود شكر

جامعة الملك خالد

على الدعم الإداري والفني

لهذا البحث)

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

اللسانيات الاجتماعية والترجمة تطبيقات على ترجمات من اللغة العربية وإليها

يهدف هذا البحث إلى توضيح العلاقة القوية التي أسسها الباحثون في اللسانيات الاجتماعية أو الباحثون في الترجمة ما بين اللسانيات الاجتماعية والترجمة، مع أمثلة كثيرة من واقعنا اللغوي العربي، فالدراسة تحاول توضيح علاقة اللسانيات الاجتماعية والترجمة من خلال قضايا لغوية عربية، نوضح من خلالها العلاقة القوية بين اللغة والمجتمع؛ ذلك أنَّ البحث في اللسانيات الاجتماعية كان مصدرًا لحلول لبعض القضايا المتعقلة بالترجمة، وسوف نرى أنَّ هناك بواكير لاهتمام الباحثين في الترجمة بالمشكلات اللغوية الاجتماعية ربَّما تمتد إلى ما قبل النصف الثاني من القرن العشرين. لكنَّ الأمر قد اختلف فيما بعد مع بحوث نايدا في أمريكا وبرنييه فى فرنسا، ومدرسة لندن اللغوية، بداية من فيرث وهاليداي وتلاميذهما.

ويشتمل البحث على عرض لأهمية اللسانيات الاجتماعية للترجمة من خلال الباحثين في هذا المجال، ثم عرض تطبيقي لبعض القضايا الترجمية التي تلتمس حلولها في اللسانيات الاجتماعية.

الكلمات الافتتاحية : اللسانيات ــ اللسانيات الاجتماعية ــ الترجمة ــ ترجمة إلى العربية ــ ترجمة من العربية .

الأستاذ الدكتور

عبدالمنعم السيد أحمد جدامي

أستاذ اللسانيات بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية

Abstract

Social Linguistics & Translation Apps on Subtitles From and into Arabic

This research aims to clarify the strong relationship established by researchers in social linguistics or researchers in translation between social linguistics and translation, with many examples from our Arabic linguistic reality. Language and society; research in social linguistics has been a source of solutions to some of the issues related to translation. . However, it later disagreed with NIDA's research in America and Bernier in France, and the London Language School, beginning with Firth and Halliday and their pupils.

The research includes a presentation of the importance of social linguistics for translation through researchers in this field, and then an applied presentation of some of the translation issues that seek solutions in social linguistics.

Key words : Linguistics - Social Linguistics - Translation - Translation into Arabic - Translation from Arabic.

Prof .

Abdel Moneim El Sayed Ahmed Gedami

Professor of Linguistics, King Khalid University, Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تُعرَّف الترجمة بأنَّها "إعادة إنتاج في اللغة المستقبلة للمتكافئ الطبيعي الأقرب إلى رسالة اللغة المصدر، أولًا على مستوى المعنى، وثانيًا على مستوى الأسلوب"(١) ويعرفها حاتم باسل ومنداي بأنَّها:

١- عمليات تحوّل لنص مكتوب من لغة مصدر إلى لغة هدف التي أجريت من قبل مترجم أو مترجمين في سياق ثقافي واجتماعي.

٢- الإنتاج المكتوب أو النص المترجم/ الهدف نتيجة لعمليات ووظائف في سباق ثقافي- اجتماعي لنص هدف.

٣- الظاهرة الأيدولوجية والثقافية المرئية، واللغوية والمعرفية جزء متمم من ١ إلى٢(٢). أي من النص الأصلي وسياقه إلى النص الهدف وسياقه(٣)،غير أنَّ هناك تعريفات كثيرة للترجمة، يذكر لونج أنَّه من خلال دراسات الترجمة هناك العديد من النظريات التي تشير إلى تعريفات لها برؤى مختلفة للترجمة في المظهر والهدف وكذلك في القاعدة(٤). وتتجلى الطرافة في تعريف سوزان باسنيت وأندريه لوفيفر حينما يقولان إنَّها: "نشاط مزدوج دائمًا مسيق، بما أنَّ النص له مركز في الثقافتين، ومن ثمَّ فإنَّ الترجمة يمكن أن تكون مفهومة

---

(١) Nida, E.and Taber, C.١٩٦٩: P.١٢

(٢) Hatim, B.and Munday. J, ٢٠٠٤: P.٦.

(٣) هناك فرق عند الدارسين ما بين Translation الترجمة وInterpretation الترجمة الفورية، ويلاحظ أنَّ تعريف حاتم باسل ومونداي السابق ينصب على تعريف الترجمة، وليس الترجمة الفورية.

(٤) Long, J, ٢٠١٣: P١٠٤-١١٣.

وقد عرض لونج في بحثه هذا تعريفات الترجمة وفق عدد من النماذج البحثية (Paradigms) المختلفة، منها النموذج اللغوي والنموذج الثقافي والنموذج الاجتماعي- النفسي. انظر هذا في موضعه من البحث المذكور.

(٥) انظر حول هذا: Bassnett, S.and Lefevere, A, ١٩٩٠: p.٨.

مثاليًا على أنَّها زواج مثالي ما بين السياقين المختلفين والكيانين معًا لأفضل أو أسوأ انسجام متبادل بينهما"[١].

وإذا ما كان الفرنسي جورج مونان يذكر في ستينيات القرن العشرين، وتحديدًا في كتابه: المشكلات النظرية للترجمة (١٩٦٣) أنَّ الترجمة بغيابها الدائم عن اللسانيات (في تلك الفترة) تمثل فضيحة (Scandale) للسانيات[٢] فإنَّ الأمور قد تغيَّرت، وقد كان وراء التطور عدد من التطورات على مستوى اللسانيات وغيرها من الاختصاصات.

يذكر نايدا في كتابه: نحو علم للترجمة (١٩٦٤) أنَّ هناك خمسة تطورات حدثت في القرن العشرين قبل نشر كتاب نايدا، كان لها تأثير مهم على نظرية الترجمة وممارستها، كان أوَّلها لغويًا متمثّلًا في التطورات الموسعة السريعة للسانيات البنيوية في أوربا وتأثير دي سوسير غير المحدود، وكذلك هيلمسليف وأعضاء الدائرة اللغوية في كونهاجن، لكنَّ العمل البديع- من وجهة نظر نايدا- في علاقة اللسانيات بالترجمة والنقد الأدبي كان من خلال دائرة براغ اللغوية التي أبدعت في نطاق رؤية تربتسكوي عددًا من الأعمال المهمة من خلال يان موكاروفسكي وجيرى ليفي في مجال الترجمة والأسلوبية، كما يشير نايدا إلى أنَّ وجود عدد مهم من الباحثين مثل سابير وفوجلين وورف وهويجر ومارتن جوس وجرينبرح وفانرايش في أمريكا كان لهم فضل في تطور الموضوعات المتصلة بمشكلات اللغة والثقافة مع جيل جديد تختلف رؤاه عن رؤى السابقين كما أنَّ التطور الثاني -حسب نايدا- لغوي أيضًا، وهو تطبيق مناهج اللسانيات البنيوية على المشكلات الخاصة بترجمة الإنجيل.

---

(١) Mounin, G. ١٩٦٣: P.٨.

(٢) Nida, E. ١٩٦٤: P.٢١-٢٢.

ويذكر نايدا أنَّ التطور الثالث متمثل في برنامج الجمعيات المتحدة للإنجيل، فقد بدأت بمؤتمر دولي عن الترجمة في هولندا في عام ١٩٤٧م. أمَّا الرابع فكان طباعة ونشر دورية (Babel) التي نشرت تحت إشراف اليونسكو، ثم التطور الخامس وهو كان البحث في ميكنة الترجمة. انظر Nida, E. ١٩٦٤: P.٢١-٢٢.

وقد كانت أغلب مناهج المترجمين قبل التطورات التي حدثت في القرن العشرين في هذا المجال العلمي يعمل على منهج نحوي قائم على تعلم القواعد النحوية في اللغتين (الأصل والهدف)، وفي النصف الثاني من القرن العشرين نجد جيلًا جديدًا من الباحثين العاملين على تأسيس تحليل منظم للترجمة، وكلٌّ منهم فضَّل منهجًا لغويًا تقريبًا(١). ولعلَّ مقولة البريطاني بيتر نيومارك دالة في هذا السياق، حينما يقول إنَّ نظرية الترجمة منحدرة من اللسانيات المقارنة، وفي داخل اللسانيات الترجمة ضمن علم الدلالة، فكلُّ قضايا علم الدلالة متعلقة بنظرية الترجمة(٢). وربَّما وصف الأستاذة مارى إسنل- هورنبي يعتبر أأكثر عمقًا، ذلك أنَّها تقول إنَّ صورة الترجمة (كعلم ومناهج) قد تغيَّرت على نحو مفاجئ بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك مع الدعوة التي كانت آنذاك تنادي بوجود الترجمة الآلية في بداية خمسينيات القرن العشرين، عندما نُودي إلى ما يسمى بالدقة العلمية في عملية الترجمة بدلًا ممّا كان موجودًا من نظريات تعتمد التخمين المبهم، هذا في تصورها بدا ظاهرًا لعلم الترجمة كما هو واضح جيدًا من ثنايا كتاب نايدا: نحو علم للترجمة(٣).

على أيَّة حال صار مفهومًا في الدراسات الترجمية أنَّ العقود الثلاثة الأولى من النصف الثاني للقرن العشرين تُعدُّ بمثابة فترة التأسيس، وأنَّ عقد السبعينيات من القرن العشرين قد شهد طرح قضايا جوهرية مثل أهمية تحليل خطوات الترجمة أو وظيفة الأنماط النصية ودور السياق، وغيرها(٤). وسادت

---

(١) Pardo, Soler, B. ٢٠١٣: P.٦.

(٢) Newmark, P. ١٩٨٨: P.٥.

(٣) Snell- Hornby. M. ١٩٩٠. P.٧٩-٨٠.

(٤) أمبارو أوتادو ألبير: الترجمة ونظرياتها ص١٦٤.

مفاهيم نظرية أو نماذج علمية، كالبعد اللغوي والبعد النصي والبعد المعرفي والبعد الفلسفي والهرمينوطيقي والبعد الاتصالي والاجتماعي- الثقافي[١].

أمَّا عن علاقة اللسانيات بالترجمة فإنَّها علاقة قوية، يزعم موندای أنَّ اللسانيات لها دعوة قوية للوصول بالدراسات الترجمية إلى هذا التقدم، ولكي تكون اختصاصًا في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، وحتى هومز في بحثه (Name and Nature of Translation Studies) الذي ألقاه في مؤتمر اللسانيات التطبيقية في الدنمارك في ١٩٧٢م، وقُدم المقال ببعض المفاهيم اللغوية

---

(١) السابق، ص١٦٥. وأشير هنا إلى أنَّ سبيعينات القرن العشرين قد شهدت من خلال باحثين من بلجيكا وهولندا وعلى رأسهم لوفيفر تحوّلًا في دراسة وتطبيق الترجمة من مرحلتها الشكلية (Formalist Phase) كما يسميها لوفيفر وسوزان باسنيت إلى بداية الاعتبار لقضايا أوسع في السياق والتاريخ والعرف، وأصبح موضع الدراسة-الذي أعُيد تعريفه- في النص الذي هو جزء لا يتجزأ من إطارها في كلٍّ من العلامات الثقافية في اللغة المصدر واللغة الهدف، ومن ثمَّ أصبحت الدراسات الترجمية صالحة للاستفادة من المنهج اللساني والانتقال إلى ماعداه انظر بحثهما: Bassnett, S. Lefevere, A.١٩٩٠: P.١١-١٢. وتسمي باسنت هذا التحوّل في الاهتمام في الدراسات الترجمية بالمنعطف الثقافي (Cultural Turn) في الدراسات الترجمية، وقد شهدت السبعينيات – حسب زعمها- خطًا واضحًا- مجددًا، فقد شغلت الدراسات الترجمية قبل ذلك جانبًا فرعيًا من اللسانيات التطبيقية، وجانبًا فرعيًا من الدراسات الأدبية، وليس لها مركز في الدراسات الثقافية المتطورة، وظلَّ العالم يتساءل عن ترجمات حاسمة وعن الدقة والأمانة والتكافؤ ما بين الأنظمة اللسانية والأدبية فباتت الترجمة موضوعًا أسطوريًا (Cenderella). وفي التاريخ المذكور بدأ عدد من الباحثين يلتقون معًا في لقاء أوَّل مع فريق عمل من الدولة العبرية يعمل حول الأنساق المتعددة (PolysystemsTheory) مع باحثين من بلاد الأرض المنخفضة (Low Countries) يقصد بلجيكا وهولندا وعدد من بلاد أخرى في أوروبا، وكان أندريه لوفيفر أحد أهم الذين أعطوا أهمية للتخطيط لتعريف الدراسات الترجمية هدفها في إنتاج نظرية شاملة يمكن أن تكون مستعملة كتوجيه للمترجمين. انظر: Bassnett, S. ١٩٩٨: P.١٢٣-١٢٥. ويلفت نظرنا أندرو شسترمان (Chesterman, A,) إلى أنَّ المنعطف الثقافي كاتجاه حلَّ محل التحليل اللغوي للنصوص، وأنَّ الدراسات الثقافية المبكرة للترجمة دشنت نظرية الانساق المتعددة التي تطورت كنظرية للثقافة ونظرية للترجمة الثقافية، بيد أنَّ هذا الانقسام المبسط هنا ليس متغاضيًا عن حقيقة أنَّ اللسانيات نفسها في ذلك الزمان توسعت إلى ما وراء التحليل التركيبي إلى اللسانيات النصية وتحليل الخطاب والتداولية والنحو المعرفي وهذا معناه أنَّ التطور قد لمس التخصصيين. انظر Chesterman, A. ٢٠٠٦: P.١٠.

المركزة على تحليل الترجمة[١]. ولعلَّ في ما تذكره (Serban, A.) يلفت نظرنا إلى بُعدٍ مهم وهو أنَّنا عندما نترجم أو نحلّل الترجمات نعمل على مادة اللغة، ومن ثمَّ تستشهد بما قاله كاتفورد في بداية كتابه ١٩٦٥: نظرية لغوية للترجمة ومفاده أنَّ أيَّة نظرية للترجمة ينبغي أن تخطط على نظرية للغة/ نظرية عامة للغة، كما تذكر أنَّ معظم تحديات المترجمين التي تواجههم في الترجمة قائمة في المعطيات الأوَّلية المسبقة حينما تواجه لغتين في عملية الترجمة، ذلك أنَّ اللغات تختلف بصورة واسعة في الطريقة التي يتسلح بها كلُّ مجتمع لغوي، فكلُّ مجتمع يلجأ إلى لغته لفهم وبناء رؤية للعالم، ذلك أنَّها مرتبطة بالدرجة نفسها من الاهتمام وكذلك بمظاهر من الخبرة[٢].

هذا الفهم مؤكد لدى أعلام اللسانيات فعند هاليداي اللغة تُؤسس فيها خبرة متكلميها، وتساعد على تحديد طريقتنا في النظر إلى الأشياء[٣]، وكان الأسبق والأعمق في هذا المضمار الأستاذ سابير، فقد أكد أنَّ "العالم في المجتمعات المختلفة يعيش عوالم مميزة، وليس العالم نفسه وبسمات مختلفة"[٤]. ولذا فإنَّ الترجمة لأسباب عديدة متعلقة باللسانيات لأنَّها تشبه اللسانيات التي موضوعها دراسة اللغة، والترجمة منحدرة في بعض عناصرها من النظرية العامة للغة. كما يوضح (Kolawole, S.) بقوله إنَّ الترجمة تؤدي دورًا حيويًا في تحول المعلومة من كود/ رمز لغوي إلى آخر، ويكون المترجم قادرًا على فك ما في اللغة المصدر وتحويله بتكافؤ بقدرته الترميزية (Encoding Competence) في اللغة الهدف / المترجم إليها[٥].

---

(١) Munday, J. ٢٠١٤: P.٦٩.

(٢) Serban, A. ٢٠١٣: P.٢١٣.

(٣) Halliday, M, A, K. ١٩٧٠: P.١٤٣

(٤) Sapir, E. ١٩٢٩-١٩٤٩: P.٦٩.

(٥) Kolawole, S, ٠٠ ٢٠١٣: P.١٠٠.

• وقد وصل الأمر في تصوير العلاقة ما بين اللسانيات والترجمة في فترة الثمانينيات من القرن العشرين إلى حد أن يقول موريس برنييه إنَّ التمييز ما بين نظرية لغوية ونظرية للترجمة يبدو غير ذي موضوع، بسبب أنَّ الترجمة قسم مكمل/ متمم للسانيات، وفرع من اللسانيات التطبيقية، وظهورها إذًا طبيعي عند التحدث عن نظريات لغوية تطبيقية للترجمة[١]. وعلاقة الترجمة باللسانيات لها

---

(١) Pergnier, M, ١٩٨١: p.٢٥٥.

= ورغم رؤية برنييه هذه إلَّا أنَّه يرى وجوب التفريق بين النظريتين لأسباب أعرضها في الآتي، يقول برنييه في p.٢٥٥ إنَّ أي فرد يمكن أن يلاحظ أنَّه لا توجد نظرية لغوية ولا نظرية ترجمة، وإنَّما هناك تعدد في النظريات اللغوية وتعدد في نظريات الترجمة، ومن ثَمّ يقرر أنَّ الترجمة لم تكن تابعًا/ ملحقًا للسانيات، ولم تكن النظرية اللغوية ونظرية الترجمة ممتزجتين وليستا مشتركتين بالتأكيد وهذا يعني أنَّ التخصصين متمايزان، كما أنَّ نظرية الترجمة ليست أبدًا مقترضة من النظريات اللسانية، وليست النظرية اللسانية نافذة في إغناء مضمون البحث في الترجمة، وحسب برنييه في المقابل فإنَّ العكس ما أراد أن يظهره، وهو أن نظرية الترجمة والنظرية اللغوية متشابكتان كليًا في الحقيقة ومتضامنتان، ذلك أنَّ اللسانيات موضوعها اللغة، والترجمة واحدة من مظاهر اللغة (ما بين اللغات). فرؤية برنييه تحتاج إلى توضيح، وهذا ما قام به حين يقول هناك أسباب ثلاثة تجعل من نظرية الترجمة مستقلة في علاقتها مع جميع نظريات الترجمة، الأوَّل أنَّه لم تكن عملًا إحصائيًا وإنَّما هي في المقابل عمل ديناميكي، واللسانيون يتجهون أحيانًا إلى خلط الترجمة باللسانيات المختلفة بالتخصص المقارن بمعنى إعمال اللغة خارج النص لتعميق رؤيتنا بالأنظمة اللسانية المختلفة، أو بسبب أنَّ الترجمة عمليات ديناميكية في البحث عن المتكافئات ما بين الرسائل، فالترجمة لا تمر بالأنظمة اللسانية فحسب، وإنَّما بعمليات نفسية- لسانية للفهم والتعبير. والثاني أنَّ المنظرين للترجمة مثل المنظرين لأيَّة ممارسة في البداية تستند على خبرة ممارسة أو على اللسانيين وليس على المترجمين حتى ولو لم يكن هؤلاء لسانيين غير مهمتين ضروريًا بالمناحي الخاصة لنشاط الترجمة، هؤلاء الممارسون للترجمة هم الأكثر جدارة، وهم الأكثر كفاءة في اقتراح الحلول وفي صناعة المصطلحات. والثالث هو في الظروف نفسها فإنَّ اللسانيات تطورت في الشكل الذي ينظم مشكلاتها المميزة، وهناك عيب غالبًا ما وُجه إلى اللسانيين من قبل المترجمين الذين يبحثون عن إجابات عند اللسانيين لأسئلة متعلقة بنشاط الترجمة، وتهتم اللسانيات الآن بالوظيفة وبناء اللغات فحسب، وليس على الكلام الواقعي (parole Reele) وهذا الحكم ــ حسب برنييه ــ صحيح على العموم؛ ذلك أنَّ محور تطور اللسانيات في الخمسين سنة الأخيرة (قبل نشر بحثه ١٩٨١) قامت على البنى اللغوية: انظر p.٢٥٦-٢٥٧، وهذا معناه أنَّ رؤية برنييه ملخصة في أنَّ السبب في عدم تقديم النظريتين اللسانية والترجمة معًا هي أنَّ تحليلات اللسانيين كانت تجذب مفاهيم ووسائل غامضة على تحليل الترجمة. ٢-لأنَّ تنظير الترجمة في البداية كان من خلال خبرة ممارسيها. ٣- كانت جوانب النظرية اللسانية مفهومة من خلال لسانيات اللسان (Langue)، وليس لسانيات الكلام الفعلي(Parole) انظر P.٢٦٢ من بحثه الآنف الذكر.

تاريخ طويل، ففي ستينيات القرن العشرين قدم الفرنسي جورج مونان رسالته لدكتوراه الدولة، والتي طبعت في عام (١٩٦٣) تحت عنوان[١]: Les problèmes théoriques de la traduction المشكلات النظرية للترجمة، في نهاية الفصل الأوَّل في p.٨ يقول إنَّ غياب الترجمة عن اللسانيات يشكّل فضيحة(Scandale) للسانيات المعاصرة، ولذا يشرع في الفصل الثاني الذي يعنونه بـــ L'etude scientifique de l'operation traduisante doit elle etre une branche de la linguisitque أيجب أن تكون الدراسة العلمية لعملية الترجمة فرعًا من اللسانيات، وفيه يستشهد برأى فيدوروف الذي قرر أنَّ الترجمة عملية لغوية، وظاهرة لغوية أيضًا، واعتبر أنَّ كلَّ نظرية للترجمة يجب أن تكون مندمجة مع التخصصات اللغوية[٢]. وينتهي مونان من فصله هذا بأنَّ الترجمة تظل فنًا، لكنَّه فن مؤسس على علم، والمشكلات النظرية المعروضة من جهة شرعية أو عدم شرعة عملية الترجمة، ومن جهة إمكانية الترجمة أو عدم إمكانيتها لا يمكن أن تكون موضحة بالدرجة الأولى إلَّا في إطار علم اللسانيات[٣].

ويشير مونان إلى أنَّ فيناي وداربلانيه شرعوا في اتجاه إدراج الترجمة بشكل طبيعي في إطار اللسانيات[٤]. وذلك في كتابهما المنشور فى عام ١٩٥٨م. وهذا أوَّل المناهج اللسانية التي حللت الترجمة من منظور اللسانيات التقابلية والأسلوبية، وقد برهنا على وصف معالج لعمليات الترجمة لزوج من اللغات الفرنسية – الإنجليزية، لكن بتطبيقات ممكنة، وأقاما سبعة مناهج/ إجراءات،

---

(١) Mounin, G. ١٩٦٣: P.١٠.

(٢) Ibid.,P.١٦-١٧.

(٣) Ibid.,P.١٧

(٤) Ibid.,P.١٣.

وكان منهجًا ممدًا لحلول ترجمية من خلال قيود اللغة الهدف التي يمكن أن تكون مهيمنة على التكافؤ في العناصر الخاصة في اللغة المصدر وفي سياق معطى(١).

ثم تأتي مرحلة أخرى وهي مرحلة لسانيات تشومسكي التي تأثر بها الأمريكي نايدا، فوفقًا للسانيات تشومسكي هناك نوعان من التحليل النحوي: نحوى ومعجمي، قبل أن يتحوَّل النص الأصلي إلى اللغة الهدف، وهذان النوعان من التحليل يخططان في إطار تشومسكي كآلية لإيجاد حلول لمشكلات الترجمة التي تواجه المترجمين، وقد استعمل نايدا مفهوم التحويلية والجمل المركزية من أجل وصف الاختلاف التركيبي في الأصل النصي (الأصلي والهدف)، وترى جونيلا أندرمان أنَّ توجيهات نايدا اللغوية ومادته المجمعة من خبرة طويلة كممارس للترجمة، وبتجميع محاولاته في صياغة نتائجه داخل الإطار اللغوي أقام درسًا تقعيدًا لنظريات الترجمة ولتحسين العلاقة ما بين الترجمة واللسانيات في السنوات الآتية(٢).

---

(١) Serban, A. ٢٠١٣: P.٢١٣.

(٢) Anderman, G. ٢٠٠٧: P.٥٠.

ينبغي الإشارة إلى أنَّ تطويع نايدا لنموذج تشومسكي عليه ملاحظات، وممن انتقده جينتسلر (Gentzler, E.) في ذلك لأنَّ نايدا –حسب جينتسلر–لا يتبنى إلَّا الجزأين الأخيرين من نموذج تشومسكي، وذلك حتى يضفي المصداقية على العلم الذي استنبطه، كما أنَّ نموذج تشومسكي– حسب جينتسلر ـــــ يقدم أداة طبيعة لمثل هذا التطوير الخاطئ على يد المنظرين في حقل الترجمة، كما يقول إنَّ "نايدا فيما يبدو يضفي على هذه المباني وصفًا خارقًا للطبيعة في إطار مقاربته العلمية. وعلى أيَّة حال هناك فروق ذات اهتمام بالغة بين نظرتي تشومسكي ونايدا من شأنها أن توضح كيف أنَّ نموذج نايدا هو صورة مبسطة من نموذج تشومسكي، وأنَّه مطوَّع تطويعًا خاطئًا إلى حد بعيد، لكي يجري تطبيقه على الترجمة" انظر: إدوين جينتسلر: في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة. ترجمة د. سعد مصلوح، ص١٥١.

وينتهي إلى القول: "ونخلص ممَّا تقدم إلى المحصلة الآتية: على حين يبدو كتاب نايدا: نحو علم للترجمة ذا أسس مكينة في اللسانيات الحديثة، فإنَّ المسكوت عنه، والماثل على الدوام هو نص بروتستاني خبئ (Subtext) ص١٥٨، وأنَّ ما قدمه نايدا يتضمن معالجة لنص يخدم مصالح عقيدة دينية ما، ولكنَّه يخفق– بوجه عام– في تقديم قاعدة لما يُرى في الغرب "علماً" " ص١٥٩.

إنَّ هذا النقد القاسي الموجه لنظرية نايدا يراه د. محمد عناني نقدًا أيدولوجيًا، وذلك: "لأنَّها انتقادات أيدولوجية تنكر على نايدا عمله في إطار المذهب البروتستانتي (وتنكر عليه في الواقع الإيمان الديني). د. محمد عناني: نظرية الترجمة الحديثة ص٦٧.

وفي حين أشار نموذج تشومسكي في الدراسة البنيوية للغة إلى اهتمامه الإدراكي، كان تراث مالينوفسكي يقيم في اللسانيات الإنجليزية درسًا مختلفًا، كما طوَّر من قبل فيرث (١٨٩٠-١٩٦٠م) مفهوم مالينوفسكي عن سياق الحال، أي رؤيته التي ترى المعنى وظيفة في السياق، وتتطور هذه الأفكار مرة أخرى على يد مايكل هاليداي فقد أصبح المفهوم نظرية كاملة، هي نظرية النحو النظامي (Systemic Grammar)، وفي الإطار النظري عند هاليداي وأتباعه يبدو مفهوم السياق على أنَّه وظيفة لعملية اللغة في عدد من المستويات المختلفة، وجاءت نظرية كاتفورد في الترجمة تابعة ومطبقة لبعض مفاهيم هذا النموذج(١).

ثم تأتي مرحلة أخرى من مساهمة اللسانيين في الترجمة، ذلك أنَّ بحث العوامل المؤثرة على التنظيم الشامل للنص، تلك التي تأتي فوق مستوى الجملة، قد جذب على نحو متزايد اهتمام اللسانيين في سبعينيات وثمانينات القرن العشرين في وقت كانت تطبيقات النتائج اللغوية قد وضح تأثيرها في مجال الأسلوبية، وهنا جاءت قمة الدفع مقدمة من مجال تحليل النص، وهذا واضح في دراسة حاتم باسل وميسون (١٩٩٠)، وكما جاء شد الانتباه إلى اللسانيات مركزًا على لسانيات النص، وجاءت نظريات الترجمة تابعة لخطاهم، وقد ألقى نيوبرت (Neubert, A.) في مؤتمر الجمعية الدولية للسانيات التطبيقية في عام ١٩٨١ بحثاً بعنوان: الترجمة والترجمة الفورية ولسانيات النص، وقد أشار فيه إلى أهمية الاستفادة من الاهتمام الدقيق بالسمات النصية الملازمة للنص الأصلي(٢).

هناك مساهمة أخرى وهو أنَّ منهج الهوليديين تضمن وظائف للغة، وكذلك العلاقة ما بين المتكلم والمرسل إليه، وروابط التماسك الضرورية في ترابط

(١) Andermam, G, ٢٠٠٧: P.٤٩.

(٢) Ibid.,P.٥٠-٥٥.

وتماسك النص، وقد مكَّن هذا جوليان هوس (House, J.)[١] لوضع نموذج تقييمي، وهو واحد من النماذج الأولى لتقييم الترجمة مركزة فيه على المقارنة ما بين النصوص المصدر والهدف في ترجمات ألمانية- إنجليزية، كما أنَّ هناك دراسات حول الترجمة بمنهج التداولية والإدراكية/ العرفانية، واللسانيات الاجتماعية، والتي هي موضوع بحثنا هذا.

١- الإرهاصات الأولى لعلاقة اللسانيات الاجتماعية بالترجمة

اللسانيات الاجتماعية حقل نهل من تخصصات عديدة ذلك أنَّه يفحص القرابات/ العلاقات ما بين استعمال اللغة وحياة الإنسان و المجتمع، أو كما يقول نايدا إنَّ اللسانيات الاجتماعية مزيج من علم الاجتماع وعلم الأنثربولوجيا واللسانيات، وهو واقعي اجتماعي مبنيٌّ بنظرية مهمة حول وظيفة اللغة بكلِّ مظاهرها، وأنَّ الأفضل أن يُرى هذا التخصص على أنَّه لسانيات مؤسسة اجتماعيًا؛ ذلك أنَّ الوظيفة الاجتماعية تعطي شكلًا للطريقة التي تواجهها اللغة في الحياة الواقعية[٢].

ويعتبر رالف فاسولد (Fasold, R, W.) أنَّه لا يجب على عالم اللغة المهتم باللسانيات الاجتماعية الاكتفاء بوصف الظواهر الممتعة فحسب، وإنَّما يتوجب عليه دائمًا أن يدرس باستمرار كيفية ربط الوظيفة الاجتماعية للغة بأيَّة نظرية صحيحة لها، كما أنَّه يرى تصورًا يرتضيه نايدا[٣]، وهي أنَّ اللسانيات الأنثربولوجية، وفرعًا آخر من هذا العلم، وهو علم الاتصال العرقي جزآن من

---

(١) حول لسانيات النص والترجمة، ومدى إفادة المترجمين ومحللي الترجمة من هذا المنهج انظر بحث هاوس الآتي: House, J. ٢٠١٢.

(٢) Nida, E. ١٩٨٦: P.٤٧٢.

(٣) يمتدح نايدا الرؤية الموسِّعة للسانيات الاجتماعية كما جاءت عند فاسولد، انظر : Nida, E. ١٩٩٤: P.١٩٢-١٩٣.

اللسانيات الاجتماعية، ذلك أنَّه يعتبر النظرة الفلسفية والنحوية إلى الأحداث الكلامية والبراجماتية جزأين أيضًا من اللسانيات الاجتماعية(١).

ووفقًا لتردجيل فإنَّه يوجد جانبان من السلوك اللغوي مهمان جدًا من وجهة النظر الاجتماعية، الأولى: وظيفة اللغة في العلاقات الاجتماعية المؤسسة، والثاني: الدور الذي تؤديه اللغة في توصيل المعلومة من المتكلم، فاللغة ليست ظاهرة اجتماعية فحسب، وإنَّما هي مرتبطة بقوة كبيرة بالبنية الاجتماعية، والقيم الاجتماعية للمجموعة البشرية المعطاة، ونتيجة ذلك فإنَّه توجد علاقات عديدة يمكن أن تكون مؤسسة ما بين اللغة والمجتمع(٢).

هذا التصور لعلاقة اللغة والمجتمع المؤسس بقوة دُرس بشكل موسع في دراسة واردوج (Wardhaug, H, R.) الذي لاحظ عددًا من العلاقات الممكنة ما بين اللغة والمجتمع، الأولى، وهي أنَّ البنية الاجتماعية إمَّا أن تؤثر على تحديد البنية اللغوية أو السلوك، فتنوعات اللغة في استعمال الأفراد واختيار الكلمات عند التواصل بها، وكذلك طريقتهم التي يعبرون بها يمكن أن تعكس مستواهم الاجتماعي، وإقليمهم، وأصلهم العرقي والعلاقة الثانية الممكنة القائمة مباشرة على العلاقة الأولى وهي أنَّ البنية اللغوية و/ أو السلوك يؤثر أو يحدد البنية الاجتماعية، وهذا يشير إلى أنَّ استعمالنا للغة يمكن أحيانًا أن يجعلنا ندرك العالم بطريقة معينة، وبالمدى نفسه، تؤثر في رؤية العالم عند أفرادها المتكلمين. أمَّا العلاقة الثالثة فهي متعلقة بالتأثير المباشر المزدوج، فكلٌّ منهما يمكن أن يؤثر في الآخر، فيمكن للغة أن تصبغ مجتمعًا برؤية معينة ويمكن للمجتمع أن يصبغ اللغة بصبغة معينة، ومن ثمَّ يمكن للغة والمجتمع أن يكونا مترابطين، ولهما التأثير المتبادل في واقع التواصل.(٣)

---

(٢) رالف فاسولد: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع ، ص: ل، م.

(٢) Trudgill, P. ١٩٨٤: p.١٤.

(٣) Ibid,.p.١٤.

وقد كان هذا الإدراك للعلاقة بين اللغة والمجتمع وإلى أنَّ كلًا منهما مرتبط بالآخر، هذا الإدراك قاد إلى إبداع تخصص فرعي داخل اللسانيات، هو اللسانيات الاجتماعية التي هي جزء من اللسانيات المتصلة باللغة كظاهرة اجتماعية وثقافية، والجزء المهم يؤدي من خلال اللغة في السياقات الاجتماعية ومن ثمَّ يكون هذا التخصص العلمي مهمًا في علاقته بالترجمة، وهذا ما سوف أحاول توضيحه في هذا البحث.

في الحقيقة جاءت الاهتمامات الأولى لاحتياج المترجمين لحلول وقضايا ترجمية ربَّما تتعدى قضايا البنية اللغوية، ومن ثمَّ حاولوا إيجاد حلول لها عبر تخصصات متعددة؛ ذلك أنَّ النظريات اللغوية للترجمة أُسست على مقارنة البنى اللغوية لكلٍّ من النص الأصلي والنص الهدف/ المترجم، أكثر من مقارنة الأجناس الأدبية والسمات الأسلوبية، ورأى أحد رواد التنظير في الترجمة وهو نايدا أنَّ تطور هذه النظريات يمكن أن يكون مساهمًا في عاملين مهمين: (١) تطبيق علم اللسانيات المتوسِّع بسرعة في مناحي مختلفة، مثل تعليم اللغات، والأنثربولوجيا المعرفية، وعلم العلامات وتعليم مهارات الترجمة، والترجمة الفورية.(٢) وكذلك على ميكنة الترجمة. فالحقيقة – حسب نايدا- أنَّ اللسانيين باتوا مؤهلين من خلال عدد من الجوانب المهمة على طبيعة المعنى (وهي منطقة تقليديًا كانت مقصورة على الفلاسفة والمناطقة) في المساعدة وفي التركيز على المنهج اللغوي في تحليل المشكلات الترجمية، فقد كان لأعمال جريماس وكوزيريو وبوتييه اهتمامات خاصة بهذا المجال، كما يشير نايدا إلى أنَّ التأثير المتزايد للسانيات على عناصر الترجمة وإجراءاتها يبدو واضحًا من المقالات المنشورة في دوريتي (Meta) و(Babel)[١].

(١) Nida, E. ١٩٧٦: P.٦٩.

يقول نايدا إنَّ الاختلافات الأساسية ما بين النظريات اللغوية المختلفة (أو أنصاف النظريات) للترجمة ترتبط بتركيز شديد على البنى السطحية أو البنى العميقة المعادلة، فقد أُسست هذه النظريات تقريبًا على المقارنات على مستوى البنية السطحية المتضمنة استعمال مجموعة دقيقة من القواعد الملائمة للبنى التركيبية المعادلة[١].

ولهذا فإنَّ النظريات اللسانية الاجتماعية للترجمة برزت – حسب نايدا- بعد الاستياء من النظريات اللغوية للترجمة[٢] والاهتمام المتنامي بالتواصل، مثل

---

(٣) Ibid., p.٧٠.

(٢) هذا الاستياء الذي يعبر عنه نايدا هنا جاء عند عدد كبير من الباحثين، إلَّا أنَّ ما أشير إليه هنا هو أنَّ هذا الاستياء أخذ ردود فعل متعددة، ومن ثم كان سببًا في بروز رؤى ونظريات متعددة للترجمة، فإذا كان نايدا وتابر وبرنييه وغيرهم اتجهوا صوب اللسانيات الاجتماعية، وهذا ما سيوضح في الصفحات التالية- فإنَّ هناك من اتجه إلى حقول علمية أخرى، لعلَّ أهمها في ثمانينيات القرن العشرين ماصنعه لوفيفر ومجموعته في هولندا وبليجكا فقد ركزوا على الجانب الثقافي في الدراسات الترجمية، وصنع لوفيفر وباسنيت تركيزًا كبيرًا حول الخلفية الاجتماعية وتأثير التقليد الثقافي المفروض على الترجمة، وذاتية المترجمين، ومن ثم تحول الاتجاه البحثي عند هذا الفريق من اللسانيات إلى الثقافة، وكان نتيجته تحسين أدبية النصوص المترجمة، وتوسيع المجالات البحثية المترجمة بشكل كبير.
ووفقًا لهذا المنظور فإنَّ التباين واضح ما بين المنهج اللغوي التقليدي الذي كان سائدًا في الحقب الأقدم في الترجمة من خلال الكلمة أو العبارة أو الجملة والنص، كوحدات ترجمية، والمنهج الثقافي الذي باتت الثقافة فيه الوحدة الترجمية الرئيسة، وتعالج الترجمة فيه على اعتبار أنَّها تحوُّل ثقافي لصور مجهرية مع دراسة التحوُّل من نص أصلي إلى نص مترجم، من المؤلف إلى المترجم، ومن الثقافة المصدر إلى الثقافة الهدف. انظر حول هذا (Jingjing, HuangC.٢٠١٤: P.٤٩١-٤٩٢.) فقد ربط منظرو المنهج الثقافي اهتمامًا أكبر بالنص المترجم ووظائفه فلم يفكروا طويلًا في النص المترجم كملحق، وإنَّما كإنتاج مستقل يؤدي دورًا مهمًا في الثقافة المستقبلة، فقد أشار زوهار(Zohar, I, E) إلى أنَّ الإنتاج المترجم جزء من الأنظمة الثقافية الاجتماعية، واستراتيجيات المترجم ينبغي ألَّا تكون محددة من خلال النصوص المصدر، وإنَّما بدور النصوص المترجمة في الأنظمة الثقافية والاجتماعية. انظر السابق P٤٩٢. وتوضح باسنيت إحدى رائدات هذا المنهج بما مفاده أنَّ عمليات الترجمة لا يمكن أن تهمل الهيئة المحيطة بها، فالمترجم الذي يعالج النص بصيغة منعزلة عن الثقافة معرض للخطر. انظر(Bassnett, S.١٩٩٠: P.٢٢-٢٣.) وقد ذكرت باسنيت في مقالها المهم: " تحول الترجمة إلى الدراسات الثقافية" أنَّ هذا الاتجاه كان من خلال سيمنار لوفان في ١٩٧٦، وقد أخذت مجموعة لوفان في السنوات الأولى من نشاطها هذا المنهج، وكان عمل إتمار إيفين- زوهار المتعدد الأنساق الأدبية، النص البذرة للباحثين في هذا الاتجاه، فقد كان هدف زوهار – حسب باسنيت- تطبيق مفهوم النسق لدراسة الأدب في الترجمة، وكانت طريقته جديدة في النظر للترجمة، ذلك أنَّه يتطلب إقامة علاقة تربط الأعمال المترجمة والنظام المستقبل حول عدد من المسائل، ومن خلال ذلك ترى باسنيت أنَّه بهذا الاتجاه تنتقل الدراسات الترجمية من المناقشات حول التكافؤ إلى مناقشة العوامل التي تتضمن إنتاجها عبر الحدود اللغوية. انظر. Bassentt, S. ١٩٩٨: PP.١٢٣-١٤٠

الاهتمام الناتج عن عمل الأنثربولوجيين الواعي بأبعاد دور المستقبلين للنص في عمليات الترجمة[١]. و تأتي أهمية نظريات اللسانيات الاجتماعية في تطبيقها على الترجمة لكونها مرتبطة بالبنية اللغوية على مستوى عالٍ، فعندما نناقش نصًا مثلًا يرتبط بالمؤلف وخلفيته التاريخية والظروف المتضمنة في إنتاجه. وقد كان نايدا من أوائل من أدركوا هذا منذ زمن بعيد، ففي عام ١٩٤٥ نشر مقالًا في مجلة(Word) حول: اللسانيات وعلم الإثنولوجي في الترجمة، أشار فيه إلى عدد من القضايا الخاصة بالترجمة التي يعود كثير منها إلى مجال اللسانيات الاجتماعية الآن، فهو إذ وضح أنَّ مشكلات الترجمة في أساسها مشكلات تكافؤ، ويمكن أن تعالج في نطاقات: (١) البيئة. (٢) الثقافة المادية. (٣) الثقافة الاجتماعية. (٤) الثقافة الدينية. (٥) الثقافة اللغوية[٢]. وذكر أنَّ خطورة الاختلافات البيئية من منطقة إلى أخرى ينتج صعوبات معتبرة في إيجاد التكافؤ، ويضرب مثالًا لذلك، ففي منطقة (Yucaton) بالمسكيك لا توجد درجات حرارة مختلفة في الفصول الأربعة، ويتساءل كيف تترجم فقرة من الإنجيل توجد فيها شجرة التين إلى لغة المايا (Mayas) القاطنين في قلب المنطقة الإستوائية ذات الفصلين، الجاف والرطب، وكيف تترجم كلمة جبل إلى هنود شبه جزيرة يوكاتان المسطحة تمامًا، وأعلى ربوة يصل علوها إلى ثلاثين مترًا[٣]. هذا التصور يعلق عليه جورج مونان معتبرًا أنَّ أمثلة نايدا لا تكتسب قيمتها من جدتها بقدر ما تكتسب من كونها تدفعنا إلى أن نفهم جيدًا أنَّه حين تدخل أقوالًا إلى التجربة اللغوية لشعب المايا يجب أن تُدخل أيضًا إلى تجربة عالم المايا صورة أو عرضًا للأشياء التي تتضمنها هذه الأقوال[٤].

---

(١) Nida, E. ١٩٧٦: P.٧٠.

(٢) هذا المقال نشر في عام ١٩٩٥ في (Word) ونشر في كتاب حرره هايمز في ١٩٦٤ وهو الذي اعتمدت عليه Nida, E. ١٩٦٤: P.٩١.

(٣) Nidia, E. ١٩٦٤: P.٩٢.

(٤) Mounin, G. ١٩٦٣: P.٦٣.

ويقول إنَّ اللغة جزء من الثقافة، وتصبح دليلًا بهذا في اللسانيات الوصفية التي يحاول الباحث فيها من خلال الأنثربولوجيا الاجتماعية التي تشتمل على إمكانيات مميزة في معالجة كثير من أنواع المشكلات الدلالية[١]. ويشير الباحث إلى عدد من الصعوبات يواجهها المترجم ترتبط بالبحث عن المكافئات وتفسيراتها نتيجة تعقيدات التنظيمات الاجتماعية، وتبرز قضية لغوية مهمة وهي أنَّ اللغة جزء من الثقافة، والبنى اللغوية تختلف من لغة إلى أخرى، فمن المستحيل– حسب مونان– التقريب بين لغة وأخرى في بعض التعبيرات، فتعبر لغات كثيرة عن بعض المفاهيم بمقولة فعلية، التي يعبر عنها في لغات أخرى بمقولة اسمية. وينتهي إلى أنَّ معنى أي موضوع لغوي توضح تمامًا داخل السياقات التي يستعمل فيها[٢].

ويطبق نايدا هذه المفاهيم في كتابه: "ترجمة الإنجيل" (Bible Translating) المنشور في ١٩٤٧، والمثير أنَّه استخدم فيه مفاهيم جديدة أصبحت أساسية في اللسانيات الاجتماعية فيما بعد[٣]، ومنها (Register Tone Languages) يقصد به "نوعية أساليب اللغة"[٤]. وفي كتابه: "العادات والثقافات" (Customs and Cultures) المنشور في ١٩٥٤، وتحت عنوان: " معاني الكلمات تعكس الثقافة" يذكر نايدا أنَّ أيَّة جميلة/ عبارة لا تعطي معنى "منعزلًا" عن السياق الثقافي الذي برزت فيه وتلائمه تمامًا، وأنَّ المعاني تعتمد على السياق

---

(١) Ibid.,P.٩١.

(٢) Ibid.,P.٩٥–٩٧.

(٣) حتى مصطلح (Sociolinguistics) المصطلح الدال على اللسانيات الاجتماعية يرى موري (Murray. S.) أنَّ الظهور الأوَّل كان على يد نايدا في كتاباته في عام ١٩٤٩م. انظر .p.٢٨٣ Murray, S. ١٩٩٤:، وحول جذور وبدايات اللسانيات الاجتماعية انظر بحثي: رؤى اللغويين الغربين لجذور علم اللغة الاجتماعي.

(٤)Nida, E. ١٩٤٧: P.١١٠–١١.

الثقافي، وهذا ملاحظ بشكل جلي عندما يتعلم الطفل عمليات تعلم اللغة(١)، وإذا ما كانت اللغات جزءًا من الثقافة وآلية لها، فهي أيضًا بمعنى نموذج للثقافة، فاستعمال لغة من خلال تصنيفات خاصة للثقافة يشير إلى البنية الاجتماعية التي يمكن أن توصف بأنها استعمال لغوي أونوع أو نموذج لما يحدث في المجتمع(٢).

وقد جاء كتاب نايدا وتشارلز تابر المنشور في ١٩٦٩، مطبقًا لمفاهيم لسانية اجتماعية على قضايا الترجمة فقد أدركا العوامل الاجتماعية مثل العمر والجنس والمستويات التعليمية والتعاون والطبقات الاجتماعية والانتماء الديني التي تؤثر في التباين اللغوي، تلك النواحي معتبرة في الترجمة، وقد قدَّما قائمة مهمة من المستويات اللغوية التي تأتي وفقاً للسياقات المقامية، الأسلوب الرسمي، والتقني والعامي، وغير الرسمي، والعاطفي(٣) التي تأتي وفقًا لمناسبات

---

(١) Nida, E. ١٩٥٤: p.٢١٠.، ويتابع نايدا موضوع اكتساب اللغة والثقافة عند الأطفال في بحث حديث، فيقول إنَّ كلاً من اللغة والثقافة تكتسب في عمر مبكر جدًا وفي سياقات عشوائية في البيت أو الملعب، فكلٌّ من اللغة والثقافة تبدوان مثبتتين بحلول سن المراهقة، في هذا العمر يجد معظم البشر صعوبة في تعلمها كلغة أجنبية، ويلاحظ هذا في نطقه، وربَّما تعلم مهارات الثقافة يكتسب في عمر متقدم جدًا.. كما أنَّه يرى اللغة والثقافة باعتبارهما أنشطة = = جماعية، ولا يوجد شخص غير ذلك، وأنَّ المستويات الثقافية تتوازى مع المستويات اللغوية نفسها، وما ينطبق على اللهجات الجغرافية ينطبق وبالقدر نفسه على اللهجات الاجتماعية، ويوضح ذلك بقوله إنَّه ينتج عن السياقات المختلفة الحاصلة بين الأفراد صيغ/ أشكال لغوية مختلفة أيضًا، ويقع ذلك من خلال نوعية الكلام المحدد في خمسة مستويات مختلفة: ١- الشعائري (Ritual) لغة الطقوس. ٢- الرسمي Formal اللغة المستعمة مع أشخاص غير معروفين مسبقًا. ٣- غير الرسمي Informal المستعمل في الحديث مع الزملاء. ٤- غير المتكلف (Casual) المستعمل في الأحداث الرياضية. ٥- المستوى الحميميIntitmats اللغة المستعملة مع الأسرة. هذه المستويات الثقافية تتوازى مع المستويات اللغوية الخمسة من خلال استخدام مستويات مميزة من الملابس. انظر بحثه الآتي Nida, E. ٢٠٠٣: P.٤١٣-٤٢٤ وانظر أيضًا المادة العلمية نفسها في كتاب نايدا المترجم إلى العربية: دور السياق في الترجمة، ترجمة د. محيي الدين حميدي، ص ص٣١-٣٣.

(٢) Nida, E.١٩٥٤: P.٢١٣.

(٣) Nida, E.and Taber ، C.١٩٦٩:P.١٢٧.

وظروف الحدث الكلامي والعلاقات ما بين المتكلمين، ومن ثمَّ تعكس على العموم الظروف الاجتماعية[١]. ويتكلمان عن أنواع الخطاب، ويريان أنَّ النص ككل يتعلق بـــ: ١- الطرق المختلفة المصاغ بها النص تسجل بدايـــة ونهايـــة الـــنص. ٢- وسائل وسم التحوّلات ما بين الأقسام الداخلية المتعددة للنص ككل. ٣- العلاقـــات الزمنية (Temporal Relations) التي يمكن أن تكون مسجلة من خلال الزمن واتفاق الأزمنة المميز بالأدوات والمحوّلات الزمنية المختلفة من قبل أمور أخرى. ٤- العلاقات المكانية. ٥- العلاقات المنطقية مثل السبب والتأثير، بمعنى اعتبـــار علاقات الأحداث بعناصر أخرى. ٦- تماثل كلِّ المشـــاركين فـــي الخطـــاب. ٧- الوسائل المختلفة المستعملة لتسليط الضوء أو العناصر ذات الخلفيـــات المتعـــددة التي ترافقهم أو خارج تركيزهم. ٨- مشاركة المؤلف..، موقفه ووجهة نظـــره، وهي معكوسة في اختيار البنى والتعبيرات، بالإضافة إلـــى اختيـــار المســـتويات ونوعية الكلام والتنغيم وسمات كثيرة أخرى في الرسالة[٢].

ومن ثمَّ ليس غريبًا أن يرى نايدا ضرورة أنَّ تكون اللسانيات الاجتماعية تمهيدًا مهمًا بالنسبة للمترجم[٣]، ولعلَّنا الآن نتفق مع جوناثـــان وات (. Watt, Jonathan) حينما يقول إنَّ نايدا ومنذ أربعينيات القرن العشرين كان مدهشًا في اكتشاف مجالات اللغة التي سمحت له بصنع مساهمات في اللسانيات الاجتماعيـــة جوهرية، وكانت متطابقة في الحالات والمفاهيم الأساسية في المجالات التي ظلت فترة غير مدركة[٤].

---

(١) Ibid.,P.١٣١.

(٢) Nida, E. ١٩٧٦: P.٧٨.

(٣) يشير وات كذلك إلى أنَّه على الرغم من أنَّ اللسانيات الاجتماعية كمجال معروف بدأ في الاكتســـاب في الخمسينات (هذا حسب رأيه) وبحث فرجسون عن الازدواجيـــة اللغويـــة نشـــر فـــي ١٩٥٩، ومساهمة جمبرز جاءت بعده بخمس سنوات أي في ١٩٦٤، وأتت مســـاهمات لابـــوف وهاليـــداي وفيشمان في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، في المقابل كان نايدا قد أعلن في كتابـــه: العادات والثقافات (المنشور في ١٩٥٤) أنَّه صنع حقلًا موسَّعًا بملاحظات حول العمـــل فـــي هـــذا المضمار من خمسين قطرًا. انظر Watt, J. ٢٠٠٥: P٢١.

(٤) Ibid.,P.٢٧.

وبالرغم من أنَّ مؤلفات نايدا كانت مُعدَّة لأعمال ليست متخصصة في اللسانيات الاجتماعية إلَّا أنَّ وات يرى أنَّ مساهمات نايدا في اللسانيات الاجتماعية ربَّما تكون مميزة بكونها مبتكرة وواعية، ويتساءل وات: يشار إلى نايدا في مجال اللسانيات الاجتماعية؟ الإجابة عن هذا السؤال تأتي ممَّا قاله نايدا وينقله عنه: الكلمات لها معانٍ منظور إليها بالثقافة التي تكون الكلمات ودلالتها جزءًا منها، فاللغة جزء من الثقافة، ومن ثمَّ نملكها لفهم الثقافة(١). على أنَّه ينبغي أن نذكر بما لاحظه روبرت لاروس(Larose,R.) من أنَّ مصطلح (Sociolinguistics) عند نايدا يضم اللغة والثقافة بمضامينهما الاجتماعية.

وقد كانت مساهمات المدرسة الإنجليزية مهمة، فقد أشار جريجوري في مقال له عن: وجهات نظر حول الترجمة من التقاليد والتعاليم الفيرثية، نسبة إلى فيرث، وضَّح فيه أنَّ الدرس الإثنوجرافي وعلم الاجتماع أدركته اللسانيات في بريطانيا، تلك النابعة من عمل فيرث ومالينوفسكي، وأصداء من الدرس اللغوي عند سابير وبيك في الولايات المتحدة الأمريكية ومدرسة براغ، كما تطورت اللسانيات البريطانية وامتدت على يد هاليداي(٢). وسأقف قليلًا عند بعض الإشارات عند فيرث، وكذلك هاليداي، فقد وضَّح فيرث في عام ١٩٣٥ أنَّ المشكلة الكليَّة للترجمة هي في مجال علم الدلالة(٣). وفي بحثه: اللسانيات والترجمة، يذكر فيرث أنَّ ما يمكن أن يسمى المعنى الكليّ لنصٍ ما في السياق موزع في سلسلة من المستويات مثل المستوى الصوتي والنحوي والسياقي(٤).

---

(١) Larose, R. ١٩٨٩: P.١٣٤.

(٢) Gregory, M, J. ١٩٨٠: P.٤٥٥.

(٣) Ibid.,P.٤٥٥.

(٤) (Firth, J, R. ١٩٥٦ in Palmer, F, R. ١٩٦٨ed): P.٨٩-٩٥.

وكان فيرث قد ميَّز في هذا المقال بين أربعة أنواع رئيسة للترجمة، هي: الترجمة الإبداعية، والترجمة الرسمية، وترجمة أخرى كطريقة فنية(Technique)، وترجمة آلية، ويفرق بين هذه الأنواع وفقًا لسماتها اللغوية وسياقاتها ووظيفتها. انظر P.٨٨ من بحثه الآنف الذكر.

ويرى أنَّ التحليلات اللغوية تزدوج مع حقول العمل عند الأنثربولوجيين في حلِّ مشكلات الترجمة، ويطالب المترجم بمعرفة السياق التاريخي للغة المصدر، ومن ثَمَّ يطالب بتفسيرات واجبة لتفسير بعض النصوص من قِبل المترجم لتوضيح السياقات المختلفة للنص المصدر، وقد ركَّز كثيرًا على سياق الحال تلك الفكرة المركزية في لسانيات مدرسة لندن، التي ترجع إلى مالينوفسكي وفيرث، وقد تطورت أكثر في دراسات هاليداي، الذي رأى في بحث له نشر في ١٩٦٤ أن تنوع اللغة يأتي في اتجاهين: (أ) وفقًا للمستعملين الذين يستعملون اللغة. (ب) وفقًا للاستعمال، أي الأغراض المختلفة التي يهدف الكلام بلوغها من خلال استعمال هذا النمط/ المستوى من اللغة.

فمن ناحية يوضح أنَّ تنوع اللغة يأتي وفقًا لمستعملها، وهذا يشتمل على كلِّ تنوعات اللغة المستعملة من المتكلمين الأصليين مثل اللهجة الخاصة بفرد أو لكنته، وداخل اللهجة نفسها يمكن تمييز تنوعات مختلفة فيها. ومن ناحية أخرى فإنَّ داخل استعمال اللغة نختار بدقة العناصر المعجمية والتركيبية المناسبة مع السياق الخاص، لأنَّ استعمال اللغة يتضمن عمليات من الانتقاء الواعي من المخزون المعجمي للمجتمع الكلامي، يقول هاليداي: تتنوع اللغة كما تتنوع وظيفتها، وتختلف باختلاف السياقات، والمصطلح الذي يحمل هذا المضمون هو (Register)[١] ويقول أيضًا إنَّ فئة نوعية الكلام مهمة عندما نريد وصف ما يفعله البشر بلغتهم، عندما نلاحظ أنَّ تنوعات اللغة في سياقات مختلفة نشعر باختلاف في أنواع اللغة المختارة لتتلائم مع أنواع مختلفة من السياقات[٢].

هذه المفاهيم تأثر بها كاتفورد في كتابه: نظرية لغوية للترجمة، المنشور في ١٩٦٥، وكرَّس الفصل رقم (١٣) لموضوع: تنوعات اللغة في الترجمة، ورأى أنَّ تنوعات اللغة سمات أساسية مرتبطة بنوع خاص من ملمح سياقي-

(١) Halliday, M, A, K. McIntosh, A. and Strevens, P.١٩٦٤: p.٨٧.

(٢) Ibid,.P.٨٨.

اجتماعي[١]، وأكدَّ أهمية المترجم أن يعي ذلك في نقله للغة الهدف، وإن كنَّا نرى أنَّ نظرية كاتفورد كانت نظرية لغوية لم تتأثر كثيرًا بالمفاهيم اللسانية الاجتماعية.

على أيَّة حال كانت جهود نايدا في أمريكا وفكر المدرسة الإنجليزية إرهاصات لوعي اللسانيات في تلك المرحلة بقضايا الترجمة على مستوى اللسانيات الاجتماعية، وقد كانت هذه البواكير أساسًا لمرحلة أكثر توسّعًا وأكثر وعيًا لمستجدات كثيرة، على رأسها نمو اللسانيات الاجتماعية كتخصص.

٢- المرحلة الثانية من تطور العلاقة بين اللسانيات الاجتماعية والترجمة

تلت البدايات الأولى جهود أكثر فاعلية من خلال نايدا نفسه، وكذلك من زميله تابر، وكذلك برنييه في فرنسا، وأبدأ بتابر الذي نشر مقاله في ١٩٨٠ عن: الحواجز اللغوية الاجتماعية في التواصل عبر الترجمة: (Sociolinguistic Obstacles to Communication through Translation)، وفيه يقول إنَّ الحواجز اللغوية الاجتماعية كتلة من القضايا التي تسبّب حواجز في التواصل الفعَّال عبر الترجمة، وتتمثل هذه الحواجز في المتكلمين للغة، وفي التواصل، والنصوص، والمواقف، والمفاهيم[٢]. ثم يصنف هذه الحواجز في ثلاثة أنواع:

أولها المشكلات الخاصة بالظروف ويحددها في ثلاث نقاط: ١- العلاقات المهيمنة الكائنة ما بين المترجمين والمستقبلين، فالتواصل الفعَّال يأخذ مكانه عندما تحتاج العلاقة إلى إمعان النظر عند كلٍّ من المترجم والمستقبل معًا، فأيّ اختلاف وبخاصة إذا ما كان محتويًا على مشكلة خطيرة سيقوض الفهم والثقة، ويأتي هذا النوع- حسب تابر- في سياقات الاستعمار وغيرها.

٢- الأميّة العميقة عند المستقبلين الذين يشكلون عائقًا عندما يفترض المترجمون أنَّ الترجمة تشير إلى ما يمكن قراءته بصورة شخصية أو فردية.

---

(١) Catford, J, S.١٩٦٥: P.٨٤.

(٢)Taber, C. ١٩٨٠: P.٤٢١.

٣- البعد الاجتماعي- الثقافي.. وقد يهمل المترجم تأثيرات البعد الاجتماعي الثقافي في طريقة ما سوف يفهمه الناس في ترجمته، ولكن كلٌّ منَّا يفسر أيَّ ملفوظٍ أو نصٍ على أساس المعلومة المتضمنة من خلال ما تزودنا به رؤيتنا للعالم وحالتنا المعرفية ومعتقداتنا وقيمنا وأوضاعنا(١).

وثانيها مشكلات مصدرها المترجم

يقول تابر إنَّ المترجم تتطور لديه مفاهيم وأوضاع مؤثرة بطرق مختلفة، هي:

١-مواقف نحو الأشخاص المستقبلين، فالاختلافات الثقافية تولد تحيزًا حين يكون الكلام متضادًا مع الأشخاص، أو ازدراءً لمجتمع أو طبقة أو عائلة أو جنسية أو جنس، وهذا يثير الاحتقار والخطر، فاحتقار المستقبلين يقود أحيانًا إلى تكيّف ثقافي مضلل ومتطرف(٢).

٢-مواقف نحو اللغة الهدف/ المترجم إليها، حيث تكون اللغة الهدف غير مكتوبة، وليس لديها قواعد نحوية مكتوبة ومن ثم تصبح مشكلة.

٣-مواقف نحو اللغة المصدر أو النصوص أو نحو ترجمة أمينة. يرى تابر أنَّ كثيرًا من هذه الأفكار مفاده تقديم تعهدات أيدولوجية، وتشتمل على التزام اجتماعي عقائدي للمترجم، يشير ضمن هذا العنصر إلى الاحتجاجات على ترجمة النصوص الدينية للمحافظة على الوحي اللفظي للكتب المقدسة، وتركيزها على البنية اللغوية السطحية، والتي تقود- حسب تابر- إلى فهم أغلب المسلمين إلى الارتباط ما بين صيغة النص (فالمسلمون المحافظون يقررون رفض أيِّ إمكانية لترجمة القرآن الكريم)، والمواقف الأيديولوجية تبدو مماثلة في بعض الجهود غير الملائمة في حقل الترجمة الأدبية، فالتأثير العام في مثل هذه المفاهيم خنوع وارتباط بالبنية السطحية للأصل والتخلي عن استثمار الطبيعة الغنية المركبة والرابطة بين البنى العميقة والبنى السطحية في كلٍّ من اللغتين. وسوف أقف في الجانب التطبيقي عند هذه النقطة لأعرض بعض الرؤى الخاصة بترجمة القرآن(٣).

---

(١) Ibid.,P.٤٢٢-٤٢٣.
(٢) Ibid.,P.٤٢٤.
(٣)Taber, C.١٩٨٠: P.٤٢٦.

وثالثها مشكلات نابعة من المستقبلين، والتي تتضمن عددًا من المشكلات، هي: ١- موقف تجاه المترجم. ٢- مواقف تجاه اللغة، ومن ذلك رفض كثير من المتكلمين في العالم العربي الترجمة إلى اللهجات المحلية والإقليمية. ٣- مواقف حول استعمال النصوص(١).

ونستكشف من رؤية تابر رؤيته العلمية لممارسة الترجمة أنَّ الموقف بما أنَّه معقد في حجمه باعتباره محاولة للتواصل عبر الترجمة، ومن ثَمَّ يتطلب عددًا من التخصصات للتزود بها وبتوضيحات منهجية وتصورية، وهذه العلوم - حسبه- اللسانيات والأنثربولوجيا واللسانيات الاجتماعية ونظرية الاتصال وعلم الاجتماع المعرفي، ويقدم رسمًا يوضح تابر من خلاله ثلاثة آفاق، الأوَّل: وهو أفق النص الأصلي، والثاني: أفق المترجم، والثالث: أفق المستقبلين. الأوَّل له رؤيته وله غرضه ومناسبته، أمَّا الثاني، وهو خاص بالمترجم، وهو غير مشارك في التجربة مع الأوَّل، وقد يكون له رؤية خاصة للعالم مختلفة في المعرفة والمعتقدات والقيم والسلوك، أمَّا الثالث فهو غير مشارك في كلِّ ذلك، وهو مستقبل الترجمة(٢).

ومن كلِّ ذلك يخلص إلى أنَّ العوامل الاجتماعية والثقافية داخل موروثات المترجم وداخل عمليات الترجمة من أكبر مشكلات الترجمة، فقد يعيد المترجم صياغة الترجمة حسب أيدولوجيته(٣)، أو ثقافته وهذا ما سوف نراه واضحًا في الجانب التطبيقي.

ونأتي إلى باحث مهم في هذا المضمار، وبخاصة أنَّه يمثل اللسانيين الفرنسيين، وهو موريس برنييه الذي كتب مقالًا مهمًا قبل نشر كتابه: الأسس اللسانية الاجتماعية للترجمة (Les Fondements sociolingustiques de

(١) Ibid.,P.٤٢٧.
(٢) Ibid.,P.٤٢٨.
(٣) Ibid.,P.٤٢٩.

(la traduction، وقد نشره في ١٩٧٨. أمَّا المقال الذي أتصور أنه يلخص أفكار كتابه الذي كان وقتها تحت الطبع- كما يشير المؤلف في نهاية مقاله- والمقال بعنوان: المعنى اللغوي ومعنى الرسالة، نحو منهج لساني_ اجتماعي للترجمة، Meaning: Towards (Language Meaning and Message a Sociolinguistic Approach to Translation)، وكان قد نشره ضمن مجموع بحوث مؤتمر في ١٩٧٨م.

في البداية يحدد الفرق ما بين المعنى اللغوي ومعنى الرسالة، فيقول بخصوص الأوَّل إنَّه المعنى من خلال كلِّ وحدة بنيوية أو مجموعة من الوحدات، وهو نتيجة لاتفاق ما بين البنية الصوتية والدلالية من خلال العرف الذي يجعل من معنى الكلمة مكتسبًا ما بين أعضاء المجتمع اللغوي. وفهم الإشارات اللغوية بوجهة النظر هذه يعني إدراك وحدات دلالية محفوظة مسبقًا قبل الفعل التواصلي. أمَّا معنى الرسالة هو معنى الملفوظ أو جزء منه كما هي مُعدّة من قبل المتكلم، وليس متفقًا عليه، وفي الغالب تابعة لسياق الحال المصاحب للأداء الكلامي(١). ومن ثَمَّ لا تتحدد مشكلة الفرد مستقبل الرسالة في معرفة ما تشير إليه الكلمات، وإنَّما في معرفة ما يشير إليه المتكلم، وهي تلكم مشكلة المترجم، ويذكر أنَّ لسانيات ما بعد سوسير هيمنت فيها فكرة أنَّ اللغات بنى مستقلة في كلِّ مستوى، وأنَّه لا الوحدات المعجمية ولا الوحدات النحوية للغة يمكن أن تكون مترجمة من لغة إلى أخرى، وهذا لا يشير إلى أنَّ الترجمة مستحيلة ولو جزئيًا فحسب، وإنَّما إلى إمكان النقل على نحو ناقص، وأنَّها تشير إلى أنَّ التكافؤ في الترجمة يُبدع مؤسسًا على مستوى معنى الرسالة، وليس على المعنى اللغوي (Language Meaning) ، وإذا ما أراد اللسانيون إنشاء نماذج تفسيرية للترجمة، فيجب في المقام الأوَّل توضيح العلاقة ما بين الرسالة وكلٍّ من اللغتين المتضمنتين (الأصل

(١) Pergnier, M.١٩٧٨-١٩٩٣: P.٢٠١.

والهدف)، مفضلًا ذلك عن درجة التكافؤ ما بين البنى اللغوية في اللغتين. فالكلمات بقدرٍ ما لا يمكن ترجمتها لعدم وجود متكافئات لها في اللغة الأخرى، وحتى في داخل اللغة نفسها لا يوجد ترادف حقيقي(١).

ومن ثَمَّ يرى برنييه أنَّ المنهج اللغوي للترجمة (بالمعنى المحدد) ليس كافيًا لتوضيح وصياغة العمليات المتضمنة في الترجمة، وهو ما يجب أن يكون مكتملًا من خلال مناهج أخرى، ومنهج علم النفس اللغوي ليس كافيًا أيضًا، ويرى أنَّ اللسانيات الاجتماعية هي الأكثر أهمية في هذا المضمار، فلماذا اللسانيات الاجتماعية؟ تأتي الإجابة من برنييه موضحًا فيها أنَّ هدف اللسانيات الاجتماعية دراسة اللغة كوسيط (Medium) للتواصل ما بين الأشخاص والمجتمعات. وفي هذه النقطة– حسب برنييه– الحقيقة الأولى المؤخوذة في الاعبتار، وهي أنَّ اللغة ليست وسيلة للتواصل بالمعنى المعتاد للكلمة، وإنَّما العكس أيضًا، أي أنَّها تمثل عدم التواصل، كما تعتبر لغة غامضة مقاومة للتواصل، فيجب أن يؤخذ في الاعتبار أنَّه إذا ما أراد فرد وصف التواصل البشري فإنَّه في الواقع من خلال العالم يوجد حقيقةً مفادها أنَّ عدم التواصل أكثر وجودًا ما بين البشر، بسبب اللغة، فتعدد اللغات الموجودة عبر الكوكب الفاعل لذلك الموقف الذي لا تواصل فيه ما بين غالبية سكانه، وكلُّ هذه اللغات (حتى الإنجليزية) تشيّد حاجزًا ما بين العدد الأكبر من الأشخاص بالقياس إلى عدد هؤلاء الذين يتواصلون باللغة بوصفها وسيلة تواصل، فبرج بابل الحقيقة الأوّلية للغة(٢).

ويعلل برنييه أسباب ذلك بأنَّ هناك سببين لهذا، في المقام الأوّل التنوع الداخلي للهجات، والغريب والعامى والخاص... إلخ، وفي المقام الثاني هوَ أنَّ وظيفة اللغة للتعبير عن المعاني الشخصية والسياقية محدد بعدد كبير من العناصر، فالجملة نفسها أو الكلمة يمكن أن تعبر عن تنوع غير محدود عن

(١) Ibid.,P.٢٠٢.

(٢) Pergnier, M,١٩٧٨–١٩٩٣: P٢٠٢–٢٠٣.

المعاني المختلفة، والمعنى الخاص نفسه، يمكن أن يكون معبرًا عنه من خلال تنوع من الكلمات أو الجمل من خلال لهجة المتكلم(١). ليصل برنييه من ذلك إلى أنَّ الرسالة تفهم ليس من معناها اللغوي فحسب، وإنَّما هي نتاج سلسلة من العمليات الحيوية والواعية الهادفة إلى الحصول على طبقات الغموض، والترجمة حالة قصوى من هذا السياق العام المكتسب. كما أنَّ الترجمة تفاعل ما بين رسالة ونظامين لغويين، والمترجم ليس وسيطًا بين لغتين فحسب، وإنَّما وسيط أيضًا بين مجتمعين أو شخصين، وفي هذه النقطة الترجمة مشكلة ضمن اللسانيات الاجتماعية، ويجب أن تدرس دائمًا بكلِّ المعايير تحددها الكيانات اللسانية الاجتماعية، سواء أكان من وجهة نظر اللغة أم من وجهة نظر العمليات الهادفة إلى تكييف الرسالة للمستقبل بخلفية لغوية وثقافية مختلفة(٢).

وبهذا نتأكد أنَّه مع السبعينيات من القرن العشرين بدأ يرسّخ عدد من الأساسيات في الدراسات الترجمية التي أخذت هذا المسمى في العقد نفسه، كما أنَّ عددًا كبيرًا من الباحثين تأكد له أنَّ المنهج اللغوي المقارن كما عند فيناي وداربلانيه وغيرهما ليس كافيًا في الترجمة، فتوجه الباحثون صوب عدد من التخصصات العلمية، لعلَّ من أهمها اللسانيات الاجتماعية التي كانت قد استقرت كتخصص علمي، وبدأ يلجأ إليه الباحثون في الترجمة لإيجاد حلول لقضايا الترجمة، ولعلَّ مساهمات نايدا وتابر وبرنييه وغيرهم(٣) في هذا المجال الذي

---

(١) Ibid.,P.٢٠٣.

(٢) Ibid.,P.٢٠٣.

وهذا الكلام قد فصله برنييه في كتابه:١٩٩٣- ١٩٧٨ انظر المقدمة التي فصَّل فيها أسباب تفضيله للسانيات الاجتماعية كمنهج للترجمة وتحليلها كما جاءت فصول الكتاب محلِّله ومؤكدة رؤيته.

(٣) يشير أندرو شسترمان إلى التأريخ للعلاقة ما بين اللسانيات الاجتماعية والترجمة قائلًا إنَّ محاولة مبكرة لإطلاق عدد من التحليلات اللسانية الاجتماعية على الترجمة كانت من خلال موريس برنييه في كتابه (١٩٧٨) التي أنشأ فيها قيودًا للنص عبر الزمان والمكان والوسيط، بالإضافة إلى الجوانب اللغوية، ويذكر أنَّه ينبغي ألَّا ننسى عمل أوجين نايدا الرائد في ستينيات القرن العشرين، ونموذجه المقترض من نظرية المعلومات في مفاهيم الرسالة والتسجيل والقناة والقراءة وغيرها في عمله

اتسع بعد ذلك في بلاد كثيرة مؤكدة لما نقول، والفقرات الآتية توضح العلاقة القويَّة ما بين اللسانيات الاجتماعية والترجمة.

٣- المرحلة الأخيرة في علاقة اللسانيات الاجتماعية بالترجمة

تمثّل هذه المرحلة التطور الأكبر في تبني منهج معتمد على اللسانيات الاجتماعية في تحليل الترجمة، جاء هذا التطور في فكر بعض الباحثين كنايدا الذي يمثّل هذا الاهتمام من مرحلة الإرهاصات الأولى حتى المرحلة الأخيرة، كما أنَّ اللسانيات البريطانية قد تطوَّر لديها هذا الاهتمام من فيرث إلى هاليداي إلى حاتم باسل وميسون وغيرهم الكثير.

وأبدأ بنايدا الذي وضع عنوانًا لبحث له نشر في ١٩٨٦ يؤكد التطور واستقرار المنهج في تحليل الترجمة، والعنوان هو: اللسانيات الاجتماعية والترجمة (Sociolinguistics and Translation)، يرى فيه أنَّ الاتجاه العلاماتي- الاجتماعي يركز على العوامل اللغوية الاجتماعية وبخاصة تلك التي تحتوي على الأحداث المميزة للتواصل، والعلاقات ما بين المشاركين التي تشغل القواعد المختلفة، والبنية اللغوية- الثقافية المختلفة للمجتمع، مع الاهتمام القوي بالوظائف البينية (بين الأفراد) في اللغة.[١] وهذا كلُّه مهم للترجمة، كما يرى نايدا في هذا المقال أنَّ هذا المنهج للترجمة، يمكن أن يصنع مساهمات ذات دلالة في

(١٩٦٤)، وإن كنا نرى- كما وضحنا- أنَّ نايدا ترجع مساهماته في هذا المجال إلى تاريخ أبعد من الستينيات، وهناك نموذج آخر يراه شسترمان موسَّعًا من خلال ما قدمه (Peeters,J.) الذي استعمل نموذج اللسانيات الاجتماعية، ومؤسس على نظرية الوسيط (Mediation)، والتي تقدم على اعتبارها نظرية = =أنثربولوجية، فهي توضح صورة ما يصنعه التواصل الإنساني، وتوجد فيها أربعة مفاهيم تمثّل مفتاحًا، وكلٌّ منها يتعادل مع مستوى نظري، وهي: ١- العلامة التي تدل على المعنى والإدراك. ٢- الوسيلة (Tool) التي لها علاقة مع الإنتاج، والأغراض. ٣- الشخص الذي له تفاعلات وعلاقات اجتماعية. ٤- المعيار، وهو محدد بقيم العلامة المتعلقة بمستوى الإدراك، والوسيلة المتصلة بالنصوص اللغوية، والشخص يبدو في علاقات اجتماعية، والمعيار يقدّم بالمستوى الثقافي. انظر Chesterman, A. ٢٠٠٦: P.١٦.

(١) Nida, E. ١٩٨٦: P.٤٧١.

دراسة اللسانيات الإجتماعية، ففي المقام الأوَّل تؤلف الاختلافات اللغوية والثقافية الحادة بين المجتمعات المصدر والهدف عناصر لغوية – اجتماعية، تلك التي تستطيع أن تكشف السياق اللغوي تمامًا. وفي المقام الثاني تشير النصوص المترجمة إلى مجال واسع من العلاقات بين الأشخاص، تجعل النصوص غير قابلة للترجمة. فاللسانيات الاجتماعية تحاول معالجة الواقع اللغوي، ومن ثَمَّ فإنَّ أيَّة نظرية للترجمة يجب أن تكون أساسًا لسانية – اجتماعية في رؤيتها للغة(١).

وتأتي دراسة بيتر فاوست(Fawcett, P.): الترجمة واللغة (Translation and Language)، وهي مهمة لأنَّها تقدم رؤية اللسانيات الاجتماعية والترجمة، وفيها يقول: يمكن للسانيات الاجتماعية أن تزودنا بنظرية كاملة عن الترجمة، أو تمدنا بجوانب لغوية تساعدنا في الجوانب الخاصة بالترجمة(٢)، ويذكر فاوست أنَّ اللغوي أوتو كاد (Kade, O.) المشكل علميًا في ألمانيا الشرقية (إبّان تقسيم ألمانيا) كان المبدع لمنهج لساني اجتماعي في الترجمة، تأثر فيه بلينين وماركس، وينعي فاوست على المترجمين في غرب أوروبا آنذاك الذين لم يلتفتوا إلى عمل أوتو كاد، ذلك أنَّ نظريات الترجمة كانت لا تعطي اهتمامًا للقضايا الاجتماعية(٣).

ويركز فاوست على عدد من الجوانب المهمة في قضايا الترجمة من الناحية اللغوية الاجتماعية، ومنها نوعية اللغة (Register)، يقول حينما تنظر إلى نوعية اللغة نبدأ في النظر إلى اللسانيات الاجتماعية حول علاقة اللغة

---

(١) Ibid.,P.٤٧٢.

(٢) Fawcett, P. ١٩٩٧: P.١١٦.

(٣) Ibid.,P.١١٦.

وهناك من يؤكد ريادة أوتو كاد وغيره من زملاءه الألمان الشرقيين للمنهج اللساني الاجتماعي في الترجمة، وأنَّ منهج الألمان الشرقيين (كاد وغيره) يمكن أن يكون مفيدًا أو متطورًا لتحقيق هدف الترجمات العالية الجودة في مجتمعنا الحديث، انظر حول هذا المقال المخصص للمنهج الاجتماعي في الترجمة الآتي .Tomson – Wohlgemath, G. ٢٠٠٤; P.٤٩٨–٤٩٩

بالقواعد الاجتماعية التي يؤدي البشر فيها ويؤثرون استعمالات وفقًا للسياقات، وكذلك تظهر قضية النفوذ (Power) في استعمال اللغة، والطبقات الاجتماعية، والأصل الإثني، والجنس، والعمر والمنطقة الإقليمية، والحالات الوظيفية المسببة للتباينات في استعمال اللغة. ومن ثَمَّ يجب أن تكون هذه التنوعات مترجمة وفق منهج كامل محدد من خلال روح الشعب الاجتماعية، وهذا له أثره المهم في الترجمة، وعدم الاهتمام به يمكن ـــ حسب فاوست ـــ أن يؤدي إلى نتائج مثيرة للضحك، فهذه الأخطاء المروعة في الترجمة ليست زلات لسان تجلب من خلال كلمة خطأ، علمًا أنَّه بترجمة التعبيرات الخاصة باللهجات الجغرافية والمحلية الموجودة في نصٍ مُعدٍّ للترجمة إلى لغة أخرى من الممكن أن يكون من مستحيلات الترجمة، أو أن تكون نتيجته مضحكة(١).

وتشير ماريا سانشيز (Sanchez, M.) في دراستها: الترجمة واللسانيات الاجتماعية إلى السياق، وتراه مهمًا لأنَّه مفيد بما يحمله من دلالات متضمنة اجتماعيًا معبر عنها في النص الأصلى. وتذكر أنَّ مفهوم السياق أساس في نظرية الترجمة اجتماعيًا معبّر عنها في النص الأصلى. وأساس في نظرية الترجمة بما أنَّه كامن لحل مشكلات مثل الغموض، كما تذكر أنَّ نوعية الكلام تحدد التغيرات في اللغة التي نستعملها وفقًا للسياقات والمواقف، وعند الشروع في الترجمة يكون الأساس في نوعية الكلام الذي يجب أن يكون مركزًا على مستعمل اللغة واستعمال اللغة، فهما الأساسان المرتبطان تمامًا باعتبار أنَّ أيَّة تغيرات في كلٍّ منهما سوف يكون نتيجة في تغيرات اللغة المستعملة(٢). إلَّا أنَّ هناك نطاقات فرعية تحدد مستعملي اللغة زمنًا ومجتمعًا، فالزمن مرتبط دائمًا بالمرحلة أو العصر الذي تستخدم فيه اللغة، وهذا مسجل في النص المصدر، وإذا ما كان هذا النص بعيدًا عن الحاضر فإنَّ معضلة المترجم ستكون في التساؤل عمَّا إذا كانت

(١) Ibid.,P.١٢١.

(٢) Sanchez, M.٢٠٠٧: P.١٢٤.

اللغة المترجم إليها تملك متكافئات تاريخية تتعادل مع اللغة المستعملة في النص المصدر الأصلى، بمعنى أنَّها تتصل بفترة مشابهة في الثقافة الهدف. أمَّا النطاق الفرعي الآخر يحدد مستعملي اللغة في مكان ومجتمع، وهما اللذان من الممكن أن يشكّلا مشكلة لأنَّ الاعتبارات الأيدولوجية والجغرافية تؤخذ في الاعتبار، ففي حالة المكان يمكن أن يواجه المترجم الإشارة إليه في النص الهدف/ المترجم، ونخلص من ذلك إلى ثلاثة عوامل مهمة هي:

الأوَّل: أن تترجم هذه التنوعات اللغوية الإقليمية بتنوعات مشابهة في النص الهدف.

الثاني: ينبغي على المترجم تقرير مدى أهمية السمات اللهجية الإقليمية في النص المصدر، وتحديد أثره المهم فيما أنتجوه.

الثالث: إذا ما قام المترجم بتقديم السمات اللهجية الإقليمية الخاصة بالنص المصدر، فالسؤال هو أيُّ تنوعٍ إقليمي سوف يكون مستعملًا في اللغة المترجم إليها، فهي بطبيعتها كما تقول ماريا سانشير ليست واضحة المعالم، لأنَّها عادة ما تكون تضمينات خاصة، على أيَّة حال ينبغي أن تكون صيغة متكافئة لهجيًا(١).

ويصبح في الآونة الأخيرة نموذج هاليداي واحدًا من النماذج الرائجة جدًا عند الباحثين في الدراسات الترجمية، وفي مقالات عديدة(٢)، غير أنَّ الكتابين الرائدين المؤلفين من قبل حاتم باسل وإيان ميسون: الخطاب والمترجم(١٩٩٠)، والمترجم كمتواصل (١٩٩٧)، مستحقان إشادة خاصة، فالوظيفة النصية عند هاليداي تجذب اهتمام الباحثين، وقد ركَّز حاتم وميسون تحليلهم على الوظائف التفسيرية والفكرية، ويرى أصحاب هذا المنهج أنَّ التحليل متعدد الطبقات

(١) Ibid.,P.١٢٦.

(٢) انظر عرضًا مهمًا لهذا في كتاب: الخطاب والمترجم لحاتم باسل وأيان ميسون، صـ٣٨ وما بعدها.

(Multiple- Layered Analysis) صالح لوصف الطريقة المعتادة وعلاقات القوة المتداولة المقترحة في الترجمة.

وجهود البريطانيين بداية من فيرث وهاليداي إلى حاتم وميسون تركَّز على المعنى حسب السياق الاجتماعي للموقف الذي يحدث فيه التواصل(١). وقد كانت الدراسات المقدمة والأفكار التي طرحناها من قبل راود هذا المضمار ومتأثرة بهذا الفكر البريطاني في تحليل النص والدراسات اللسانية الاجتماعية، وهما أخذا اتجاهًا مميزًا في الدراسات البريطانية.

وتوضح ماريا سانشير في مقالها: الترجمة واللسانيات الاجتماعية، المدى البعيد للثقافة الخاصة، فتقول إنَّ ما يقوله المتكلمون في جماعة اجتماعية هو مقيد ووثيق الصلة بمجموعة قواعد سلوكية وتضمينات هي في النهاية تقدم المعتقدات والقيم لأي مجتمع، وبعض هذه القيم سوف يكون قابلًا للترجمة لغويًا، لكنَّه ثقافيًا لا يمكن أن يكون قابلًا للترجمة، ومن ثَمَّ ترجع إلى الوراء إلى القضية الأساسية- حسبها- أيمكن للغة أن تترجم المجتمع، وتجيب بأنّه لا توجد إجابة واحدة، فيمكن أن يكون المترجم متآلفًا مع الخلفية الثقافية المشار إليها في النص الأصلى، أو ربَّما لا يكون مقررًا أنَّ هذه الخلفية الثقافية سوف تكون مفهومة بدون أيِّ مشكلة في النص المترجم، ويمكن أن يوجد وهذا في حالات عديدة البيئة الاجتماعية الممثلة في اللغة المصدر مادة تفهم بتكييف ترجمي سواء أكان شرحًا أم اقتباسًا(٢).

على أيَّة حال بدا لنا تطور العلاقة المؤكدة ما بين اللسانيات الاجتماعية والترجمة، ولعلَّ أهمها النقاط الآتية:

- دور اللسانيات الاجتماعية باعتبارها مرتكزة على اللسانيات وعلم الاجتماع.

---

(١) انظر على سبيل المثال البحث الآتي Ramos, Pinto, S.٢٠١٢: P.١٥٦-١٦٢

(٢) Sanchez, P.١٢٩. M.٢٠٠٧:

- إنَّها تبرز الجوانب الثقافية الاجتماعية، وتوضح أسسها، وهذا مهم للمترجم ليضع استراتيجيته الترجمية وفقًا لقضايا ترجمة النص الماثل أمامه.
- تؤدي دورًا قويًا في توضيح الدلالات المتضمنة المقيدة بالسياق الذي يؤدي الدور المفتاح في فهم دلالة النص، وهذا مهم للمترجم.
- تبرز للمترجم أهمية فهم وترجمة التنوعات اللغوية التي تأتي أحيانًا في نصوص الترجمة، والإخلال وعدم فهم دلالاتها سوف يعود على الترجمة سلبًا.
- تبرز دور الزمان والمكان وأهميتهما في النص وهذا مهم للمترجم.

ومن هنا تبرز أهمية اللسانيات الاجتماعية وما تقدمه للمترجم، والصفحات الآتية أحاول فيها تطبيقيًا توضيح أهمية اللسانيات الاجتماعية في الترجمة.

ثالثًا: مشكلات لسانية – اجتماعية في قضايا ترجمية

في مقاله الذي عرضنا ملخصه، كتب تابر أنَّ من الحواجز اللسانية الاجتماعية في التواصل عبر الترجمة مواقف نحو اللغة المصدر أو النصوص أو نحو ترجمة أمينة، ويرى أنَّ كثيرًا من هذه الأفكار مفادها تقديم تعهدات أيدولوجية تشتمل على التزام اجتماعي عقائدي للمترجم، ويشير ضمن هذه النقطة إلى الاحتجاجات على ترجمة النصوص الدينية للمحافظة على الوحي اللفظي للكتب المقدسة، وتركيزهم على البنية السطحية، والتي تقود-حسب تابر- إلى فهم أغلب المسلمين الارتباط ما بين صيغة النص والإعجاز، فالمسلمون التقليديون- حسبه- متسقون تمامًا مع رفض أيَّة إمكانية لترجمة القرآن الكريم، والتأثير العام في مثل هذه المفاهيم خنوع وارتباط بالبنية السطحية للأصل، والتخلى عن استثمار الطبيعة الغنية المركبة والرابطة ما بين البنى العميقة والبنى السطحية في كلٍّ من اللغتين حاصل عندهم(١).

(١) Taber, C. ١٩٨٠: P.٤٢٦.

والحقيقة أنَّ ترجمة الكتب المقدسة صعبة، ويكاد الموقف نفسه يكون حاصلًا في كثير من الأديان ففي مقال الباحث توم هير(Hare,T.): الترجمة والمقدس، يستعرض مشكلات ترجمة النصوص المقدسة، وقد ذكر أنَّ القرآن في الإسلام يعتبر كلمة الله حرفيًا محوُّل من قبل جبريل (عليه السلام) للنبي محمد(ص)، ولغته معتبرة أنَّها العربية النقية، وعلاوة على ذلك فإنَّ التلاوة القرآنية هي نفسها عبارة، ولا يمكن أن تكون عبارة بقراءة الترجمة. ثم يقول شبيه هذا بما ظهر في التقاليد المسيحية قديمًا عندما ترجم جروم الترجمة السبعونية (الترجمة اليونانية للعهد القديم) أبدى اضطرابه القديس أوغسطين من مشاكل كثيرة نشأت في الترجمة اللاتينية سببها الترجمة اليونانية(السبعونية) التي ترجمت عنها الترجمة اللاتينية.(١)

أمَّا ترجمة القرآن الكريم فقد وقف حولها المفكرون المسلمون في النصف الأوَّل من القرن العشرين في مصر في الغالب برؤى مختلفة فقد كتب الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية بمصر كتابًا عنوانه: حدث الأحداث في الإسلام، الإقدام على ترجمة القرآن، ونشر في سنة ١٣٢٣هـ، ومن عنوانه تأتي الدِّلالة القويَّة على رفض ترجمة القرآن الكريم، وقد قدم هذا الكتاب محب الدين الخطيب (صاحب مجلة الفتح) وناشر الطبعة الأولى، يقول فيها: "فابتدع هذه الفتنة مبتدعوها ليجردوا المعجزة المحمدية من ثوب إعجازها، وليتخذوا من عي البشر وعاء تأسن فيه معانيهم الهزيلة المحدودة، موهمين أنَّها تنوب عن فيض معاني الكلام الأزلي الأبدي الذي يفنى الدهر ولا ينضب معينه المتجدد ما تجددت حاجات الناس ومداركهم في كلِّ زمان ومكان"(٢).

أمَّا صاحب الكتاب الشيخ محمد سيمان فيصدر الكتاب بفاتحة يسميها نظرية هذا الكتاب، يقول فيها: "ونظرية هذا الكتاب تكاد تكون بديهية، يقول: إن

---

(١) Hare،T. ٢٠١٤: P.٥٣٢.

(٢) مقدمة كتاب: حدث الأحداث في الإسلام صـ٧.

قدرتم على ترجمة كلام الله تعالى ونقله إلى لغة ما بمكانة الإعجاز التي له في لغة العرب وأداء معانيه التي أرادها الرب، فافعلوا ولن تفعلوا"(١). رفض تام لترجمة القرآن بحجج عديدة منها، لا قدرة على ترجمة القرآن، ومكانة الإعجاز الكائن فيه بعربيته التي نزل بها. وكان الخطيب يؤكد الحجج نفسها، ولمَّا بلغ الأمر أشده، قدم الشيخ محمد سليمان خطابًا مفتوحًا إلى أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب تحت عنوان: أمانة القرآن في عنق البرلمان، أهم ما جاء فيه:" وإنِّي أتحدى علنًا كلَّ من يجئ بقول من مذاهب المسلمين يبيح ترجمة القرآن بالشكل الذي يريدون أن يترجموه به، وأقطع علنًا بأنَّه لا مذهب في الإسلام يبيح هذا، وقد رفعت القناع الذي أرادوا أن يسلبوه على عملهم بأنَّهم يفسرون ولا يترجمون؟ كلا ثم كلا، يا مترجمي القرآن في آخر الزمان"(٢).

تحدي لمن يقبل بترجمة القرآن بأنَّ يأتي بمذهب يبيح ترجمة القرآن، وقد صوَّر الأمر على أنَّه مخالف للإسلام، وأنَّه "ليست ترجمة القرآن قاصدة على نقله من عربيته إلى إعجامه، ولكن فيها التسليم التام بانهزام الإسلام"(٣)، وهل بالفعل ترجمة معاني القرآن الكريم تسليم بانهزام الإسلام، أم أنَّ الأمر كان متعلقًا بأيدولوجية محافظة لا تعرف مدى اشتياق المسلمين غير العرب إلى فهم القرآن الكريم؟

ولم يكن الشيخ محمد سليمان أو محب الخطيب فحسب اللذان يعارضان ترجمة القرآن، فهناك الكثير، ومنهم الشيخ محمد شاكر (والد أحمد ومحمود محمد شاكر) الذي كتب كتابًا عنونه بـ:القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية، نشر في عام ١٣٤٣هـ-١٩٢٥م. هذا الكتاب يذكر فيه الشيخ محمد شاكر أنَّ: "هذا القرآن قد امتاز على جميع الكتب السماوية بهذه القدسية

(١) الشيخ محمد سليمان: حدث الأحداث في الإسلام، ص٥.
(٢) السابق، صـ١٦-١٧.
(٣) السابق، ص٢١.

في نظمه العربي حتى لقد قال الله تعالى لنبيه(ص) في بيان هذه القدسية "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا"(١). ثُمَّ يلوح على من يجيز ترجمة معاني القرآن فيقول: "ولولا حسن الظن بكثير ممَّن قرعوا باب البحث في هذه المسألة لما ترددنا طويلًا في أنَّ القائمين بهذه الدعوة في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية لم يكونوا سوى فئة من ملاحدة هذا العصر(٢)" لماذا كلُّ هذه الريبة وهذا الشك: "إنَّ هذا القرآن بنظمه العربي هو البقية الباقية من آثار الجامعة الإسلامية بعدما مزقت الحرب العظمى أملاك الإسلام كلَّ ممزق"(٣). كما يقول: "أتريدون أيها القوم أن يتقرب المسلمون إلى مولاهم بتلاوة هذه التراجم في الغداة والعشي وأن يقيموا الصلاة بما يرتلون من هذه المفتريات"(٤).

في هذا المناخ الرافض لترجمة معاني القرآن يكتب شيخ الأزهر الإمام محمد مصطفى المراغي كتابًا بعنوان: بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحاكمها، نشر في عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، يؤكد فيه أنَّ الشاطبي أجاز ترجمة القرآن،

---

(١) الشيخ محمد شاكر: القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم، ص١٠.

(٢) السابق، ص١١.

(٣) السابق، ص١١-١٢.

(٤) السابق، ص١٢. وأشير هنا إلى أنَّ الموقف الرافض لترجمة القرآن الكريم مازال موجودًا، ففي مقالة للأستاذ/ رمزي فتحي الهنداوي، تحت عنوان: ترجمة القرآن الكريم بين واقعنا المعاش.. ومستقبلنا المنشود، نشرت في منار الإسلام في أكتوبر ١٩٩٥م، يذكر في ص٨ أنَّ الجمهرة من العلماء المعاصرين يعارضون ترجمة القرآن سواء أكانت الترجمة حرفية أم تفسيرية، وفي ص١٠ يذكر أنَّ الترجمة غير ممكنة، وحول إمكانية ترجمة معاني القرآن يقول في ص١٢: "و لا يغيب عن الخاطر أنَّ الذين يتحمَّسون للترجمة سيقولون: نوافقك في هذا لو كان المترجم قرآنًا، ولكنَّ المترجم ليس هو القرآن وإنَّما معاني القرآن- ولكنَّ هذه فرية لبَّسها علينا أعداؤنا عندما لمسوا ضعفنا فغزوا أفكارنا بأفكارهم التي لا يزال الفكر الإسلامي يترسَّخ من نفثها في كثير من بلدانه، فانبرى جماعة من العلماء يقولون بترجمة المعاني، والذي ترجم ولا يزال يترجم إنَّما هو القرآن.." وهذا معناه أنَّ هناك من يقف الموقف نفسه الرافض لترجمة معاني القرآن الكريم.

والشاطبي أتى بما يَرُدُّ كلَّ شبهة في ترجمة القرآن، حيث قال: إنَّ أهل الإسلام أجمعوا على جواز تفسيره للعامة، وهذا إجماع منهم على جواز ترجمته"(١).

وردَّ على كثير من شُبه الناس في الترجمة(٢). وكانت النهاية كما يقول د. محمد رجب البيومي أن قامت معركة علمية استغرقت كتبًا مستقلة، وعشرات من الصحف الذائعة في مصر، "بحيث كانت شغل القراء على مدى نصف عام أو يزيد، ثم انجلى الحق الآن على اتفاق شبه إجماعي على جواز الترجمة للمعاني القرآنية، بل على وجوبها لدى قوم يرون أن يشرق نور الله على الكوكب الأرضي مشرقه ومغربه"(٣).

إنَّ الظروف اللسانية الاجتماعية وما تشتمله من ثقافة يكون لها الأسباب الأساسية في المواقف الأيدولوجية من قضايا كثيرة، منها الموقف من ترجمة القرآن الكريم، الكتاب الذي يخاف المسلمون عليه، باعتباره أساس عقيدتهم، وكلام الله المرسل إليهم، لكن كان على هؤلاء التفكير في إخوانهم المسلمين غير العرب الذين يتشوقون إلى فهم كتاب الله، ولكن تبقى اللغة حاجزًا. إنَّ المواقف والظروف الخاصة بأيِّ مجتمع تقف أحيانًا مواقف قد تضعف من الترجمة وخدماتها الجليلة- إن كان مترجمها سليم النوايا- ولكن لابدَّ أن نضع الأمور في نصابها، فهل بعد أن وافق جل العلماء على ترجمة معاني القرآن هل كانت الترجمات بمستوى يليق بمكانة القرآن عند المسلمين؟ فقد كانت مقيدات (Constraints) القرآن اللسانية الاجتماعية المتعددة عوائق خطيرة في الفهم. والمترجم المبدع مرتبط/ مقيد بمعايير لغوية وثقافية خاصة بالنص الأصلي، وإعادة الصياغة في الترجمة عبر الترويض والتحويل والتكافؤ الدينامي ربَّما

(١) الشيخ محمد مصطفى المراغي: بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامه، ص٥.
(٢) السابق: ص٧ وما بعدها.
(٣) د. محمد رجب البيومي: معركة علمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، ص١٠٧.

يكون الحلَّ كما يقول د. حسين عبد الرؤوف- لكن تُحرم النص القرآني من مظهره الديني المميز(١).

وفي مقال آخر للباحث نفسه حول: القرآن: حدود قابليته للترجمة، يذكر فيه د. عبد الرؤوف أنَّ معظم ترجمات القرآن إلى الإنجليزية موجهة إلى اللغة المصدر، وكما هو ملحوظ من خلال الالتزام القوي بالتركيب في النص المصدر، واستعمال اللغة القديمة والانحياز إلى الشكل، فالخطاب القرآني يتمتع بسمات فريدة وخاصة، وغالبًا ما يحدث المترجمون أخطاء بلاغية وأسلوبية ومعجمية وتركيبية وثقافية في الترجمة، وينتهي إلى أنَّه على هذا النحو فإنَّ سمات القرآن المقيدة والتي لا يمكن أن تكون مستنسخة في أيِّ شكل متكافئ من منظور بنية لغوية، وكذلك التأثير الروحي في القارئ، أي بدون سماته، فالقرآن بهذا سوف يكون منقوصًا في أيِّ نص عادي(٢). ومن ثَمَّ نلتمس بعض العذر لمن يرفض ترجمة معاني القرآن، الكتاب ذي القدسية العظيمة عندنا.

إنَّ الظروف الاجتماعية بتشكلاتها الثقافية تسبِّب صعوبات وعوائق كثيرة في عملية الترجمة، وسوف أعرض هنا بعضًا من الترجمات العربية في القرن التاسع عشر، والتي تظهر محملة أيضًا بعوائق اجتماعية ثقافية- لغوية. ومن هذا ما نراه من ترجمة الطهطاوي ونشره في عام ١٨٦٧ رواية الفرنسي فِنلون: Les aventures de Télémaque وترجمها تحت عنوان: مواقع الأفلاك في وقائع تليماك، أقف هنا عند نص واحد فقط لنرى كيف كانت الترجمة في تلك الفترة، وما إجراءاتها. النص بالفرنسي:

" Jupiter, au milieu de toutes les divinités célestes, regardait du haut de l'olympe ce car nage des alliés. En même temps il consultait les immuables destinées, et

(١) Abdul- Raof, H.٢٠٠٥: P.١٧٢.

(٢) Abdul-Raof, H. ٢٠٠٤: P.١٠٥.

voyait tous les chefs dont la trame dévait ce jour– l'être tranchée par le ciseau de la parque. Chacun des dieux était attentif pour découvrir sur le visage de Jupiter quelle serait sa volonte. Mais le père des dieux et de hommes leur dit d'une voix douce et majestueuse" (١) .

يترجم الطهطاوي هذا النص المملوء بالجو الأسطوري، المتحقق فيه أعلى درجات ما يسمى بالثقافة الصادمة، فيقول: "ومولى الموالي الرفيع المتعالي في علو علاه يتجلى على عباده بصفة الجلال والجمال والإعزاز والإذلال لا إله سواه لا يخفى عليه في الكون خافية وعلمه محيط بالكليات والجزئيات إحاطة كافية لا يكون شيء إلَّا ما سبق به قدره وقضاه ولا تجرى المقادير إلَّا بما جرى في أم الكتاب ما حكم به وقضاه فكلٌّ مخلوق تحت أورجوحة القدر وبحبوحة القضاء الذي ما عنه مفر ينتظر تحيز ما تعلقت به القدرة الإلهية بما خصَّصته الإرادة الإلهية والحق سبحانه وتعالى يلهم الناس سر حكمته الصمدانية"(٢).

فقد نقل النص إلى نص آخر، مختلف تمامًا والثقافة إلى ثقافة أخرى، ويبدو هذا متآلفًا مع ما ذكره هو في مقدمة الترجمة، يقول: "وإنَّما لم أجد بدًا من مسايرة اللغة العربية وقواعدها وعقائدها المرعية مع المحافظة على الأصل المترجم حسب الإمكان فبهذا ناموس الأصل والفرع محفوظ وقانون الترجمة الحقيقة ملحوظ(٣)".

يحدد هذا الكلام منهجية مطبَّقة في الترجمة محت كثيرًا من سمات النص الأصلي، وحوَّلته إلى نص آخر مختلف، فجعلته مغايرًا من سياق فيه آلهة وأنصاف آلهة وجو أسطوري إلى سياق إسلامي تمامًا، ولكي يتضح الأمر ننقل

---

(١) Fénélon, F: Les aventures deTélémaque. P.٢٣٣.

(٢) فنلون– ترجمة الطهطاوي: مواقع الأفلاك في وقائع تليماك، ص٥٠٧.

(٣) السابق ،ص ١٥.

ترجمة أ. عادل زعيتر للرواية نفسها التي نشرت في عام ١٩٥٧م، أي بعد تسعين عامًا من نشر ترجمة الطهطاوي، كانت قد تغيَّرت نظرية الترجمة في مصر والعالم العربي بعد مساجلات بين العقاد وطه حسين وغيرهما حول الأمانة في الترجمة وغيرها من القضايا.

ترجمة زعيتر للنص الفرنسي السابق تقول: "وكان جوبيتر، المحاط بجميع الآلهة، ويرى جميع الرؤساء الذين لابد من قطع نسيجهم في ذلك اليوم بمقص البارك، وكان كلٌّ من الآلهة كثير الانتباه إلى وجه جوبيتر كيما يعرف إرادته، ولكنَّ أبا الآلهة والناس قال هذا لهم بصوت لين رصين"(١).

وهذه ترجمة دقيقة مقارنة بالسابقة التي بعدت عن الأصل تمامًا وغيَّرته، فترجمة الطهطاوي هنا نموذج من نماذج المعربات التى انتشرت في الحياة الثقافية واستجاب لذائقتها الأسلوبية، كما لم تتوفر فيها الشروط الأساسية للترجمة الأدبية الدقيقة، وكان يحاكي الآداب السردية الشائعة في الأدب العرب دون أن يثار سؤال الدقة والأمانة فيما يعرب "الأمر الذي يبرهن على أنَّ النصوص الأجنبية كانت تمتثل على أيدي المعربين للصيغ والأساليب المتداولة والمعروفة في المرويات المتداولة في تلك الفترة(٢)".

وهذا معناه أنَّ النصوص الأجنبية المعربة كان يُخضعها المترجمون لنسق المرويات السردية الشائعة، أو كما يقول د. عبدالله إبراهيم: "إنَّ الوعي بالتعريب كان يهتدي بمرجعيات عربية متصلة بالمرويات الشفوية، وأنَّ النصوص المعربة كانت تتعرض إلى تغيّيرات جذرية لتوافق الذائقة التي حددت ملامحها المرويات المذكورة..، فالنصوص الأصلية كانت تنتزع من حواضنها الثقافية والنوعية، ويعاد إدراجها في نسق ثقافي آخر"(٣).

---

(١) فنلون: تلماك، ترجمة عادل زعيتر، ص٣١٠، ج١، ص١٤٢.
(٢) د. عبدالله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، ج١ ص ١٤٢.
(٣) السابق، ص١١٢.

على أيَّة حال لايمكن لنا أن نقول إنَّ هذه الملاحظة خاصة بالطهطاوي، وإنَّما خاصة بفترة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى العقود الأولى من القرن العشرين، وليس معنى هذا عدم فهم للنص الأصلي أم لا، وإنَّما كانت عمليات التغيّير في النصوص الروائية والمسرحية المعروفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تتم وفق منطق التمثل الثقافي الذي يتحقق- إبداعيًا- عن طريق إعادة كتابة النصوص المنقولة وفق مخطط كتابي أو إبداعي يقوم أبرز مقوِّم فيه على تفهم النقلة طبائع الأنواع المستقرة في ثقافتهم القومية(١)"، وكلُّ النصوص المترجمة كُيّفت وفق الذوق السائد، ذلك الذوق المتشكِّل والمتأصِّل في الثقافية العربية قبل بدء حركة التعريب ويمكن القول في النهاية إنَّ الظروف الاجتماعية والثقافية كانت لها تشكُّل إبداعي سائد، وذائقة شعبية سائدة كانت تفرض على المترجمين كثيرًا من التغيّرات والتحوُّلات في النص الأصلي ممَّا يجعل النص منقولًا مشوهًا أو منقوصًا.

وهذه الظروف الاجتماعية المشكلة لثقافتنا آنذاك كانت السبب الأوَّل في كثير من الذي حدث للنصوص الأصلية من تشوهات وعيوب، فعمليات التقريب إلى الذوق الشعبي تأتي بنتائج سلبية على النص الأصلي، مثل التحوير والتغيّير والحذف والإضافة وتغيير السياق وغير ذلك.

---

(١) د. سامي سليمان: التمثل الثقافي، ص١٧٩. وأشير هنا إلى أنَّ التغيرات التي تحدث في النصوص المترجمة تقع في ترجمات عديدة ولغات كثيرة، من ذلك ترجمة إحدى الملاحم الأفريقية وتسمى بملحمة بانتوي (Epopée Bantoue)، وترجمت إلى الفرنسية، ومليئة بالأساطير الدينية الأفريقية، ومن ثَمَّ عند ترجمتها غُيّرت وحوُّلت هذه الأساطير وفق ثقافة المستقبل، ممَّا جعل جون سيفري;(Sévry,J.) ينتقد هذه الترجمات، ويقرر أنَّ عملية التوفيق بين الثقافة الأجنبية والثقافة المحلية يجعل المترجمين يحوّلون إله الزولو إلى التنصير، ممَّا أفقد الفكرة الأساسية خصوصيتها المكانية، وكذلك قد حُذف جزء كبير من ثقافته أو خصوصيته الثقافية، ومن ثَمَّ يخلص سيفري إلى أنَّ الترجمة تفتقر شرعيتها لغياب المعادل الكفء بين اللغة المصدر واللغة الهدف.
انظر Sévry, J. ١٩٩٠: P.١٤١-١٤٨.

وهناك حقل مهم تمثل مادته مشكلة كبرى في الترجمة، وهو الشعر الجاهلي، الذي ترجم بعضه منذ زمن بعيد إلى لغات عديدة، ويؤرخ بليني (Bleaney, H.) بداية ترجمات المعلقات إلى اللغات الأوربية في القرن الثامن عشر الميلادي، بداية من ترجمة (Reiske, J.) ونشرها في ١٧٤٢م[١]. وهذه المادة بسماتها الثقافية تمثّل عقبات كبيرة في الترجمة، وسأقف عند بعض الأمثلة من ترجماتها هنا من ذلك ترجمة بيت من معلقة زهير بن أبي سلمى:

تداركتما عبساً وذُبيان بعدما * تفانوا ودقّوا بينهم عِطر مَنْشمِ**

فقد ترجمت إلى الفرنسية فى القرن التاسع عشر بـــ: Vous avez réconcilié Abs et Dhobyan, que Leur rage avait failli anéantir et dont les guerriers semblaient s'être parfumé les mains avec les aromates du Menchem en faisant serment de combattre jusqu'à la mort "[٢]

وقد ترجم البيت حديثًا من خلال ترجمة (Toelle, Heidi.) كالآتي:

"Les 'Abs et les Dhubyan,vous les raccommodés, Eux qui s'entretuaient et broyaient entre eux l'herbe du Malheurx "[٣]

الترجمة الفرنسية القديمة بمعنى: أنتما صالحتما عبسًا وذبيان بعد الاستياء الشديد الذي أضعفهما وأفناهما وقد وضع المحاربون أياديهم في عطور منشم، وأقسموا أن يحاربوا حتى الموت.

والترجمة الثانية الحديثة مفادها تقريبًا هي: أنتما صالحتما عبسًا وذبيان بعدما دقوا بينهما أعشاب عطرية من التعاسة.

---

(١) Bleaney, H. ٢٠٠٤: P.١٢٤.

(٢) جاءت هذه الترجمة ضمن ترجمة المعلقات للغة الفرنسية، والتي جمعها وقدم لها Machuel, L. ١٩١٢: P.٥٤-٥٥.

(٣) Toelle, H. ٢٠٠٩: P.١٤٣.

ويلاحظ أنَّ المعنى الدقيق للبيت ببنيته الدلالية الثقافية لم يُنقل، وهذا نفسه في ترجمات البريطاني أربرى للبيت نفسه:

"You a lone mended the rift between Abés and Dhubyan after long slaughter, and much grinding of the parfume of Menshim "(١)

فكلمة (دقّوا) في الترجمات الثلاث لم تُنقل دلالتها، فقد ترجمها الأول بـ "Semblaient s'etre parfume"، ويلاحظ أنَّه لم ينقل الدلالة الثقافية لدقُّوا، أمَّا الثاني فترجمها بـ"broyaient" وهي بمعنى "سحق، طحن، هرس"، كما أنَّ الترجمة الإنجليزية لهذه الكلمة عند أربري كانت "grinding" بمعنى "طحن" أو سحق"، وهذا يؤكد أنَّهم جميعًا سقطوا في نقل الدلالة الثقافية الخاصة بـ"دقّوا"، فالبيت دلالته مفادها أنَّ السيدين هرم بن سنان والحارث بن عوف أصلحا ما بين القبيلتين بعدما تقاتلوا وتفانوا في قتالهم، وكان "عطر منشم" الموروث الثقافي الدال على الاستمرار في القتال حتى الموت، ووضع العطر في الأيادي ما هو إلَّا علاقة للتأكيد على الحرب، وهذا لم ينقل في النص المترجم.

والمثال الثاني هو ترجمة البيت:

وإنْ تكُ قد ساءتك منِى خليقةٌ فَسُلِّى ثيابي من ثيابك تنسُلِ(٢)

في ترجمة (Toelle, H.): Si tel trait de mon caractère t'a déplu arrache mes vêtements des tiens et peau neuve faisons" (٣) وفي ترجمة أربري:

If it's some habit of mine that's so much vexed you just draw off my garments form yours and they will slip a way(٤).

---

(١) Arberry, A, J. ١٩٥٧: P.١٥١.

(٢) الزوزني: شرح المعلقات العشر، معلقة امرئ القيس.

(٣) Toelle, H. ٢٠٠٩: P.٧٥.

(٤) Arberry, A, J. ١٩٥٧: P.٦٢.

في الترجمتين يتعامل المترجمان مع كلمة "ثياب" بالدلالة الحديثة كما في العربية الفصحى الحديثة، والتي لا تدل الكلمة فيها على الجانب الأخلاقي أو الشعوري، فامرؤ القيس بالأحرى يشير إلى فك قلبه عنها، وليس ملابسه كما تُرجم هنا. ومن ثَمَّ الشعر العربي القديم راسخ في ثقافة عصره، وتتطلب ترجمته صلات كاملة وإحالات كثيرة إلى البيئة الاجتماعية والثقافية لهذا الشعر من أجل الوصول إلى ترجمة المعنى بدلالة ثقافية صحيحة بأسلوبه ودلالة بيئته، كما أنَّ هناك كلمات ذات دلالة ثقافية مقيدة (Culture- bound) في هذه المادة الشعرية تكون سببًا في الأخطاء(١).

وهذا يلاحظ أيضًا في ترجمة بيت امرئ القيس:

ومازرفت عيناك إلَّا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتّلِ(٢)

في ترجمة (Toelle, H.) Tes yeux ne versent des larmes que pour pouvoir toucher, Á l'aide de leurs deux flèches, les quatre quartiers d'un caur déjà blessé a mort"

ويقدم تفسيرًا لترجمة البيت في هامش الصفحة(٣). في حين يترجمه أربري بـ:

Your eyes only shed those tears so as to strike and pierce with those two shafts of theirs the fragments of a ruined heart"(٤)

نقف هنا عند كلمة "أعشار" التي في ترجمة (Tolle, H.) بـ (Quatre quartiers) وكأنه يقول: أربعة أرباع، وفي ترجمة أربري كان بـ "Fragments"، أجزاء أو شظايا قلبي المحطم، والكلمة تدل في استعمال امرئ

(١) Ali, S, S. ١٩٩٠: P.٧٤٠.

(٢) الزوزني: شرح المعلقات العشر، معلقة امرئ القيس.

(٣) Toelle, H. ٢٠٠٩: P.٧٥.

(٤) Arberry, A, J. ١٩٥٧: P.٦٢.

القيس على جزأين من القلب المعلى والرقيب، اللذان يشيران إلى كلَّ القلب وليس كما ترجم أربري[١]، وإن كانت ترجمة تولي أقرب للدلالة.

وقد لاحظت الباحثة إيرينا فاينوفسكى(Vainvoski-Mihai, I.) في مقالها عن الاتجاهات الثقافية في ترجمة المعلقات، من خلال ترجمات إنجليزية وفرنسية ورومانية أنَّ هناك مشكلات ثقافية كثيرة في ترجمات دلالات أسماء المواقع الجغرافية، وكذلك أسماء الأعلام الشخصية الخاصة بالقبائل والأماكن الوفيرة فى هذه المادة، ولاحظت أنَّ المترجمين لا يهتمون بنقل مضامين دلالية مهمة هي جزء مهم من عُرف القصيدة، وهذا يخلق نقلًا منقوصًا[٢].

فاللغة على نحو كامل تؤدي دورًا فريدًا في الشبكة الكليِّة للأنماط الثقافية، وتملك المحيط الثقافي الخاص بمجتمع متكلميها، وتعكس وبدقة كما يقول هويجر الاهتمامات الخاصة والتركيز الخاص بالبشر، ومن ثَمَّ يرى أنَّ دراسة اللغات ومفرداتها يمكن أن تكون صالحة لمؤرخ الثقافة، وهذا واضح- حسب هويجر- في التصنيف الجغرافي المرتبط باللغات[٣]. ولمَّا كانت اللغة هي السمة الأكثر

---

(١) Ali, S, S. ١٩٩٨: P٢١٥.

(٢) Vainovski- Mihai, I. ٢٠٠٤: P.٦٤-٦٦.

(٣) Hoijer, H. ١٩٦٢: P.٢٦٠-٢٦١.

وأشير هنا إلى أنَّ دراسة اللغة كثقافة في علم الأنثربولوجيا في أمريكا جاء كما يذكر دورانتي (Duranti, A.) في ثلاثة نماذج (Paradigms) الأوَّل أُسس في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كجزء من مفاهيم بواز، وحسب رؤية بواز فإنَّ اللسانيات كانت أداة للتحليل الثقافي (أو التاريخي)، واللغة في هذا النموذج بدت كمفردات تحكم الأبنية اللغوية، والنموذج الثاني كان في بداية الستينيات من القرن العشرين الذي-حسبه- انبثقت فيه اللسانيات الاجتماعية ومنهج اثنوجرافيا التواصل، وكانت رؤية اللغة في هذا النموذج تنظيمًا ثقافيًا ومجالًا منظمًا ثقافيًا، والنموذج الثالث كان في ثمانينيات القرن العشرين، وكانت رؤية اللغة فيه إنجازًا تفاعليًا مملوء بالقيم العلاماتية التي تشتمل الرؤية الأيدولوجية أيضًا، ويشير دورانتي إلى شيء مهم وهو أنَّ الرؤية المبكرة للغة على أنَّها قاعدة تتحكم في نظام كلِّ شيء، ومُعَدَّة من قبل الجميع معًا، لكن في ستينيات القرن العشرين رأوا اللغة ليس على أنَّها شباك من العقل البشر، وإنَّما عملية اجتماعية تُدرس موصولة إلى علم دراسة الإنسان بقدر ما تنتمي إلى اللسانيات انظر: Duranti, A. ٢٠٠٣: P.٣٢٣-٣٣٣.

تميزًا للثقافة كما يقول نايدا[١]، ومن ثَمَّ فإنَّها تمتلك عناصر عديدة مركبة ومعقدة تشكِّل بهذه العناصر هوية مجتمع وما يملك من عادات وتقاليد، تكوُّن حاجزًا صعبًا في الترجمة.

ولعلَّ أدب الأطفال مختلف في كلِّ ثقافة وفقًا لقيم كلِّ مجتمع، ففي العالم العربي الإسلامي هو انعكاس لحقيقة القيم، وهو ملقح بالأخلاقيات والنواحي التعليمية، ومزيد من الميول الأيدولوجية، والترجمة للطفل بدورها متحكم فيها من خلال القواعد نفسها التي تتحكم في الكتابة لهم، فالترجمة تواصل عبر الثقافة، والعالم تنظمه كيانات ثقافية قد تكون مهددة، والترجمة قد تحمل تهديدًا ممكنًا للثقافة الخاصة، ومن ثَمَّ اللجوء إلى المعالجة الأيدولوجية[٢]. ويتضح هذا بشكل قوي في ترجمة: أسماء الأعلام والموضوعات ذات الدلالة الثقافية الخاصة بمجموعة هاري بوتر (Potter, Harry) في ترجمتها العربية،لاحظ الباحثان (Mussche, E.) و(Willems, K.) على الترجمة العربية عددًا من الملاحظات التي نراها مهمة، ذلك أنَّ كثيرًا من المشكلات المتعلقة بترجمة هذا النوع من الأدب، ومن ذلك ترجمة كلمة (Pig) خنزير بـ(خروف)، وحتى ولو شوهد في الرسوم المتحركة خنزير صغير، وفي رأينا هذا نتيجة أسباب دينية، ففي ثقافتنا الإسلامية (الخنازير) قذرة ونجسة، وحيوانات محرمة، ومن ثَمَّ يدفع هذا المترجم الاتجاه إلى ترجمته باسم حيوان ليس محرمًا، على الرغم من أنَّ الطفل- كما يلاحظ الباحثان- يشاهد هذا المشهد ويستمع إلى ديالوج يعرف منه أنَّ ما يراه ليس خروفًا[٣].

وهناك ملاحظات خاصة بنقل أسماء الأعلام، كأن تنقل منسوخة (Copied) كما في النص الأصلي، أو تنقل صوتيًا، أو باسم مبدل، أو بدون

---

(١) نايدا، يوجين: دور السياق في الترجمة. ترجمة د. محيي الدين حميدي، ص٢٥.

(٢) Mdallel, Sabeur. ٢٠٠٣: P.٣٠٥.

(٣) Mussche, E and Willems, K.٢٠١٠: P.٤٧٥-٤٧٦.

ترجمة بحذف اسم العلم من النص الأصلي، أو باسم عام بديل، وغيرها. وكثير من هذه الطرق ليس مفيدًا في الترجمة.

والترجمة العربية– كما يلاحظ الباحثان– اتجهت إلى النقل الحر في الأسماء المؤثرة، وكذلك إلى حذف عدد من الأسماء المؤثرة، كما أنَّ عددًا صغيرًا من الأسماء مقدمة بغير تجانس في النص المترجم، وكثير من الأسماء ذات أصل إنجليزي بدائلها كان الحذف، أو بديل غير شبيه بالأصل الإنجليزي(١). أمَّا في ترجمة الموضوعات ذات الدلالة الثقافية الخاصة بالطعام، فقد لاحظ الباحثان أنَّ هناك ثلاثة إجراءات متبعة في الترجمة العربية لمجموعة هاري بوتر، هي: الحذف، وترجمة بالنسخ، والأخير النقل الحرفي، الإجراء الأوَّل وهو الحذف جاء في كثير من الإحالات الخاصة بالطعام، بالرغم من أنَّ بعضها شائع في ثقافات عديدة، أسماء خاصة بالبازلاء والجزر والشبسي، والشربات، كما حُذفت إحالات خاصة بأطباق ذات دلالة ثقافية خاصة، وجاءت تحديًا للمترجم، وهناك النقل الحرفي في موضوعات كثيرة. ومجالات دلالية تشير إلى موضوعات ممنوعة في اللغة الهدف كلحم محرم، أو أسماء عديدة من الكحوليات والخمور باتت جزءًا من مفردات العربية، وهناك كثير منها غير معروف، كما يلاحظ الباحثان أنَّ كلَّ الإحالات المحظورة خرجت/ حُذفت مع استثناءات قليلة(٢).

إنَّ اللغة جزء متمم للثقافة، ولذلك فإنَّ المترجم يجب أن يتسلح بالمعرفة بكلِّ الجوانب الثقافية للنص الأصلي، وإمَّا ينزلق إلى مزالق خطرة. ففي المجال السياسي مثلًا تأتي دلالته محمَّلة بمضامين سياسية ودينية، فمثلًا كلمة "شهيد"

---

(١) Ibid.,P.٤٨٥.

(٢) Ibid.,P.٤٨٦-٤٨٦.

وقد عرض د. يؤئيل عزيز في بحث (بالإنجليزية) معنون بالمشكلات الثقافية في الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، ذكر فيه أنَّ العربية تستخدم تعبير لحم الخنزير بحذر نظرًا لتحريم أكله في الإسلام، لكنَّ استخدامه في الإنجليزية مختلف، وتجد تعبيرات كثيرة على أنواع من طهيه، وهذا من الصعب ترجمته إلى اللغة العربية للاختلافات الأيديولوجية، ومن ثَمَّ يمثّل هذا الموضوع وغيره معوقات للترجمة. انظر: Aziz, Y. ١٩٨٢: P.٢٥-٩٩ .

حين تترجم إلى الإنجليزية مثلًا بـ"Martyr"، ومن ثَمَّ لا تتكافئ معها في عدد من النقاط الأساسية للتباين الديني والأيديولوجي بين الكلمتين(١)، كما يذكر ليون بارخو عددًا من الصعوبات الثقافية في ترجمة المفاهيم السياسية من العربية إلى الإنجليزية، لعلَّ أطرفها تلك المصطلحات المشحونة بمعانى عاطفية مثل: الأقطار الشقيقة والأقطار الصديقة، ووفود نسوية شقيقة وصديقة، وشعبية وجماهيرية، يقول إنَّ من الصعب ترجمتها(٢). ومن ذلك ترجمة الكلمة العربية (الجهاد) إلى الفرنسية بـ (La guerre sainte) التي يرى نيم كاتان أنَّها ترجمة غير متكافئة؛ ذلك أنَّ الكلمة العربية (جهاد) لا تحمل معنى الحرب، ولا مفهوم التقديس، ويستشهد بتفاسير القرآن الكريم، وأنَّ الفرنسيين عرفوا في تاريخهم الحرب المقدسة، لكنَّ الحضارة الإسلامية لا تعرف هذا المضمون(٣)، فصعوبة ترجمة الحضارات سببها هو ارتباطها بمعاني تاريخية وفكرية خاصة بمجتمعها.

وكان باتريك شافي قد انطلق من فرضية سابير- وورف في تحليله للعلاقة ما بين اللغة والقانون والواقع وعلاقة ذلك بالترجمة، وكانت نتائجه تؤكد صعوبة ترجمة المواد القانونية لانتماء كلِّ قانون بمجتمعه ولغته(٤). وقد عالج د. محمد الياسين مدى قابلية ترجمة النكات العربية إلى الإنجليزية فوجد أنَّ هذا النوع اللغوي قائم عادة على نوع من التباين أو التناقض الناتج عن مجرد مصادفة في ألفاظ اللغة، ووجد أنَّ هناك أدلة كافية على أنَّ ترجمة هذا النوع إلى الإنجليزية غير ممكن، ذلك أنَّ المترجم يواجه مشاكل ثقافية بالإضافة إلى المشاكل اللغوية(٥)، وقد خرج باستنتاج يخالف رؤية نيومارك القائل بقابلية هذا النوع إلى الترجمة(٦).

---

(١) Barkho, L, Y. ١٩٨٧: P.١٥٠.
(٢) Ibid.,P.١٤٧.
(٣) Kattan, N. ١٩٨٢ : P.٤٠٢.
(٤) Chaffy, P, N. ١٩٩٧: P.٦٩-٨٤.
(٥) El-Yasin, M, L. ١٩٩٧: P.٦٧٠.
(٦) Ibid.,P.٦٧٥.

وهل فرضية سابير– وورف القائمة كثيرًا في أذهان كثير من المترجمين، التي تطل عليهم من حين لآخر حيث يكون النص خاصًا بثقافة لها خصوصيتها. فهذه النظرية تلقي شكوكًا خطيرة على إمكانية الترجمة، أو قابليتها للترجمة، ولعلَّ مقولة جوليان هاوس مقبولة لدينا حينما تقول في بحثها عن النسبية اللغوية والترجمة بأنَّه لا يستتبع النسبية اللغوية أن تكون الترجمة نظريًا مستحيلة، وإنَّما هي ذات صلة بالعملية الترجمية، التي هي ضرورية لربطها بالنص المصدر في سياقه الثقافي، بما أنَّه في هذا السياق فقط النص له معنى، وبما أنَّ هذا المعنى لكي يكون منقولًا إلى ثقافة لغة أخرى فإنَّ عملية الترجمة تصبح عملية إعادة تسييق، وهناك نوعان من الترجمة، ترجمة مفتوحة وترجمة مغلقة يحتاجان إلى أن يكونا مختلفين، هما يختلفان أساسيًا في أهدافهما وإجراءاتهما، ووحدها الترجمة المغلقة التي تكون النسبية اللغوية الثقافية مبنية/ مؤسسة في عمليات الترجمة نفسها، وربَّما يكون هذا محققًا عن طريق استعمال المصفاة/ الفلتر الثقافي، الأساس الذي يجب أن يكون مجسدًا في الدراسات الثقافية(١).

وهذا معناه أنَّ النسبية اللغوية الثقافية تؤثر في نوع من الترجمة، وليس لها أثر في ذلك النوع الذي تسميه هاوس بالترجمة المفتوحة، ولعلَّنا لانبعد عن الحقيقة حينما نقول مع كثير من الباحثين بأنَّ هناك إجماعًا الآن بأنَّ فرضية عدم إمكانية الترجمة سواء أكانت لأسباب لغوية أم ثقافية ليست موجودة، ذلك أنَّ مفهوم عدم إمكانية الترجمة/ عدم مقبوليتها غير ملائم في القرن العشرين في الأساس بسبب أسباب أيدولوجية وكما يقول دي بدرو إنَّ التوسُّع في مفهوم الترجمة في القرن العشرين ومناقشة قابلية الترجمة مقابل عدم قابليتها يفقدها جزءًا من شرعيتها باعتبار أنَّ الاستراتيجيات المختلفة للمترجمين يمكن أن تذهب إلى أنَّه عندما يواجهون بنقص ما بين لغتين أو ثقافتين يدركونه ويفحصونه ويعالجونه بآليات ترجمية(٢).

---

(١) House, J. ٢٠٠٠: P.٨٥.

(٢) Pedro, R. ١٩٩٩: P.٥٥٦.

فليس مقبولًا في هذا الزمن المتقدم علميًا أن نقول إنَّ الترجمة مستحيلة، نعم هناك صعوبات لكنَّها بالآليات الترجمية الحديثة، ومهارات المترجمين وتعمقهم العلمي لغويًا وثقافيًا يأتي بنتائج طيبة، وبالرغم من أنَّ هناك صعوبات في الترجمة ترقى إلى أن تسمى بتسمية أكبر من كلمة صعوبات، لكن أليست الترجمة ممارسة منذ زمن بعيد جدًا؟ وقد كانت أساسًا مهمًا في بناء الحضارات المتعاقبة.

التنوعات اللغوية والترجمة

قلنا آنفًا إنَّ المفاهيم اللغوية الاجتماعية تأتي أهميتها من ارتباطها بالبنية اللغوية بمستوى قوي، ومن ثَمَّ تكون مهمة في الترجمة؛ ذلك أنَّ أيَّ نص يرتبط بمؤلفه الذي له خلفية تاريخية وظروف متضمنة في إنتاجه لهذا النص، وهذا يتضح من عوامل متعددة، ولكي يتضح الأمر أكثر أعرض ما صنعه أرنست وندلاند (Wendland,E.) في دراسته للمشكلات اللغوية الإجتماعية في ترجمة الإنجيل، وقد عرض لعدد من المعايير لسانية- اجتماعية للنص، منها المحيط المكاني- الزماني، حيث يؤثر كلٌّ منهما على إنتاج الكلام، فكلُّ فرد يكتسب لهجة محددة، ويشترك فيها كثير من المتكلمين، أي في أسلوب حديثهم، كما يظهر في النص كثير من الدلالات التي تدل على زمنه، ومنها الخلفية الثقافية المهمة بالنسبة للمترجم.

وهناك معيار يسمى المحيط الخارجي للنص، ويتمثل في أنَّ هناك سمات فوق لغوية لمحيط التواصل تتفاعل مع العوامل الاجتماعية، هذه السمات تُكسب النص خواصًا معينة، ويقسمها إلى نوعين، نوع يسميه المحيط الدرامي يشير إلى سلسلة من الأحداث المثبتة في حياة الناس، منها القيم، والمقامات والآراء، وتؤثر هذه الأحداث في الأشخاص وفي اختيارهم كيفية شعورهم بالآخر.

والنوع الثاني المحيط الطبيعي ويشتمل على التباينات البيئية للطبيعة الشخصية. وهناك معيار يسمى بالمحيط الخاص بالعلاقات البينية، ويبدو فيه المناسبة للظروف الحاصلة في الحدث الكلامي، وهذا المعيار يضم- حسب

وندلاند- الطبقة الاجتماعية، التي تبدو فيه المكونات المساهمة في تشكيل النوع المميز من اللغة المتعلقة بالجماعة المتصلة بالشخص (المؤلف)، ويتضح من خلالها السمات المميزة له (شريف أم من العوام، درجة التعليم، الحالة الاقتصادية (غني/ فقير)، ونوع الوظيفة، والخلفية العرقية، والموقف السياسي الاجتماعي[١].

وأهمُّ ما لديه لنا هو أنَّ الطبقات الاجتماعية التي غالبًا ما يشار إلى تصنيفها بثلاث طبقات: العليا، والوسطى، والدنيا، وهي في الحقيقة مكونة وفقًا لتفاعل مركب من هذه العوامل داخل مجتمع لغوي معين، ففي المستوى الأدنى- حسب وندلاند- يشتمل اللهجة الفردية المكتسبة، وطريقته الخاصة في الكلام، وله انتقاء مميز للمفردات، والنطق، والتنظيم وسمات أخرى شبه لغوية تابعة للأداء الكلامي، ولجمل لها سماتها التركيبية، فشفرات اللغة نتيجة متداخلة دائمًا في تنظيم المجتمع اللغوي في مجموعات مميزة ومؤسسة على طبقات اجتماعية، كما أنَّ هناك ثلاث فئات فرعية من التفاعل المتبادل، هي:

١. الجنس، فهناك احتمال للاختلاف ما بين أساليب الرجال وأساليب النساء في الكلام في كلٍّ المجتمعات، وهذا الاختلاف يظهر ربَّما في كلِّ مستويات التنظيم.
٢. العمر. وهذا تنوع متداخل في المقدار في علاقته بالزمان والمكان، فهناك تجديدات معجمية تبدو في أساليب كلامهم، وهناك عوامل أخرى ذات صلة تتطلب اهتمامًا بالطبيعة الصوتية، والنحوية، والنطق بسمات شبه لغوية مثل معدل سرعة الكلام، والصمت، وجهارة الصوت ونوعيته، فعند الشباب نجد تفضيلًا لصيغ حرفية جديدة، وبنى تركيبية متأثرة أحيانًا باللهجة الإقليمية.
٣. المظهر الاجتماعي الثالث للطبقة الاجتماعية، وهذا واضح في انتماء المجموعة ومظهرها واهتمامها المتبادل ووجهة نظرهم المتقاسمة بينهم، يكون واضحًا في لهجتهم: مفرداتهم وأسلوبهم في الكلام[٢].

---

(١) Wendland, Ernst, R. ١٩٨٥: P.٥١-٦٤.

(٢) Ibid.,P.٦٤-٦٦.

وكلُّ هذا مهم في تحليل النص لغويًا واجتماعيًا لكي يفهمه المترجم، وينقله على كلِّ هذه المستويات، فبوعي المترجم للتنوعات اللغوية بمقاماتها ولهجاتها الاجتماعية الخاصة، يعي المدلولات والتضمينات الخاصة لكي يعمل على نقلها بكل مستوياتها في النص المترجم، فلكلِّ خطاب سماته وخلفياته التي تأتي اللسانيات الاجتماعية لتوضحه، يذكر د. محمد عناني "أنَّ معنى تعدد مستويات اللغة (أو حتى اختلافها النوعي) هو اختلاف أنواع البلاغة التي تصادفها في كلِّ مستوى، فليس من المنطقي أن نتوقع الصيغ "البلاغية" من فم الإسكافي والصحفي، أو من فم ربة المنزل وأستاذ الجامعة؛ وكذلك فنحن لا نتوقع المنهج نفسه "البلاغي" في حوار سائق التاكسي مع راكب ريفي[١]" وباعتباره مختصًا في الدراسات الترجمية يقدم بعض الأمثلة على ذلك، منها مثال من رواية (وقائع حارة الزعفراني) لجمال الغيطاني، وهو تعبير "ممكن خمسة" الذي أحار المترجم الأمريكي (بيتر أودانيل) لأنَّه لم يدرك أنَّه عامي، ويعني "هل أستطيع التحدث معك خمس دقائق؟[٢]"

على أيَّة حال باتت العلاقة ما بين اللسانيات الاجتماعية والترجمة علاقة طبيعية جدًا وبخاصة أنَّ اللسانيات الاجتماعية تعالج أولًا اللغة باعتبار أنَّها مستعملة من خلال مجتمع في تواصل، والطرق المستخدمة للغة في المجتمعات في علاقات متبادلة هي حاسمة لأي فرد متصل بالترجمة، وهذا مقرر داخل الدراسات الترجمية[٣]. كما بات مقررًا أنَّ اللغة متباينة، ولا يمكن أن نتكلم كلُّنا بالطريقة نفسها كلَّ الوقت، فتختلف اللغة في سياقات متباينة وفي مقامات الاستعمال، كما أنَّه لا يوجد في اللسانيات تمثيل نموذجي لنموذج نوعية الكلام،

(١) د. محمد عناني: الترجمة الأدبية، ص٥٣.
(٢) السابق صـ٥٩.
(٣) Nida, E. ١٩٩١: P.٢٥.

والمعياران الرئيسان المسببان في تباين اللغة هما مستعمل اللغة واستعمال اللغة[١]. هذه الأمور مهمة للمترجم، تتضح هنا من الأمثلة الآتية.

تتضح قضية التنوعات اللغوية في الترجمة عندما يكون النص متضمنًا لمستويين لغويين أو أكثر، ويتضح هذا في روايات الأديب المصري يوسف إدريس، الذي ترجمت بعض أعماله، ومنها جمهورية فرحات، وأبو سيد، التي ترجمها سعد الجبالي إلى الإنجليزية، ومن التعبيرات التي نقف عندها لنبيّن خطورة عدم ترجمة التنوعات بمستوياتها وخطورة ذلك على الدلالات الثقافية المتضمنة، من ذلك ما يأتي في جمهورية مرحات من تعبيرات مثل: "دي حيلتها البلى الأزرق" التي ترجمها بعيدًا عن دلالتها وبدون مستواها اللغوي بقوله[٢]، a This woman owns penny بمعنى هذه المرأة لديها السنت (من الدولار)، وهذا ليس مدلولها في النص الأصلي الحامل لمضامين طبقة اجتماعية لم يُنقل دلالتها بمستواها اللغوي أو الاجتماعي.

والشئ نفسه في ترجمة: "فحلف طلاق بالثلاثة ليكسر قصادها دراعي" جمهورية فرحات"، فقد ترجمها بـ:" So he made a triple oath to divorce me unless he broke my arm"[٣] فلم ينقل الدلالة نفسها المعبرة عن طريق قسم تبدو فيه الطبقة الاجتماعية، والدين، والسلوك الاجتماعي عامة، والمسجل تمامًا في تعبير يوسف إدريس هنا.

وكذلك في ترجمة: "وفي كل مرة كان يعود وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا"(أبو سيد) يترجمها بقوله: (but each time it was all in vain) دون أن ننقل الدلالات الطبقية الواضحة في التعبير الوارد عند يوسف إدريس.

---

(١) Fawcett, P. ١٩٩٧: P.٧٥.

(٢) هذه الأمثلة المستشهد بها نقلتها من خلال Al– Masri, H. ٢٠٠٩: P.٢٣.

(٣) Ibid.,P.٢٤.

وكذلك في ترجمة: "مالك ياسي رمضان" (أبو سيد) التي ترجمها بقوله[١]: what's wrong Ø Ramadon[٢]?، بدون ترجمة لمدلول (سي) في العامية المصرية، التي مع التعبير كلِّه لم ينقله المترجم.

وكذلك في ترجمة "اسم الله عليك ياخويا" (أبو سيد)، التي ترجمها بقوله[٣]: what's wrond darling بمعنى بعيد عن المعنى الأصلي، فقد كان عليه ترجمته بمستواه/ تنوعه اللغوي وبمضامينه كاملة.

وكذلك: "اسم النبي حارسك ياضنايا" (أبو سيد) التي ترجمها بقوله: The prophet protect you, sweetheart"[٤]، ولكنَّ الدلالة الشعبية ومستواها اللغوي كما هي في تعبير يوسف إدريس لم تترجم، وهذا مخل بالترجمة، وربَّما ترجمة التعبير القادم توضح أكثر.

يترجم "مالك ياولية" (أبو سيد) فيقول: what's the matter, woman[٥] فدلالة (ولية) بالمفهوم الشعبي ومستواها اللغوي لم تُنقل في النص الهدف/ الترجمة.

وكذلك في ترجمة "حلق إيه يابت اللى خدوه؟ حلق حوش" التي ترجمها بقوله: (٦)what kind of earrings did they take, girl?Ø بمعنى ما نوع الحلقان التي أخذوها، بنت.

فإذا ما كان بحث د. المصري قد اتخذ من هذه الأمثلة لينتهي في خاتمته إلى أنَّ هناك نقصانًا في المعلومة الثقافية الموروثة في المستوى الرمزي العميق للنص الأصلي، وأنَّ استراتيجيات الترجمة لهذه النصوص أحدثت تشوهًا في

---

(١) Ibid.,P.٣٠.
(٢) Ibid.,P.٣٠.
(٣) Ibid.,P.٣٠.
(٤) Ibid.,P.٣٠
(٥) Ibid.,P.٣١.

الرسالة الموجودة في النص الأصلي، وكانت النتيجة جائرة على النصوص الأصلية والمترجمة على حد سواء(١). فإنَّنا نرى أنَّ الترجمة لم تنقل أسلوب المترجم بتنوعاته اللغوية التي تنتمي إلى الطبقة الاجتماعية التي هي موضوع الرواية، ومن ثَمَّ تأتي الحلول من اللسانيات الاجتماعية التي تركز وتوضح للدارس مضامين تنوعات اللغة،فاللغة متنوعة في أصلها في أي مجتمع لغوي.

وهناك دراسة مهمة عن لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجتمع، الدراسة للدكتورة ليلى الصاوي التي اتخذت من تعبيرات النساء المصريات مادة للوصول إلى نتيجة مفادها أنَّ اللغة تعكس الظروف والأحوال الاقتصادية لمن يتحدث بها، وأنَّ التعبيرات التي جمعتها عن النساء الشعبيات التقليديات تعطي فكرة أدق عن أوضاعهن وطريقة تفكيرهن، ومن الأمثلة التي اعتمدت عليها (اسم النبي حارسه)(٢) وغيرها من الذي ورد آنفًا في أدب يوسف إدريس. ولعلَّ هذا مهم جدًا في فهم المستوى/ التنوع اللغوي ومضامينه الدلالية في الترجمة. ولابدَّ من الوصول للتكافؤ المناسب على مستوى التنوع اللغوي الموجود في سياق محدد.

وفي دراسة تحت عنوان: الازدواجية اللغوية في ترجمة الأدب، يرى صاحب الدراسة أنَّ العنصر المتمم لمفهوم التكافؤ موجود في تنوع اللغة. وأنَّ التنوع اللغوي في اللغات ذات الازدواجية اللغوية مهم وله قيمة كبيرة لابدَّ أن يلتفت إليها المترجم في نقل المعنى وإبداع صورة صحيحة للغة في مستواها التواصلي. ومن خلال تحليل مقتطفات من حوار فيلم في أصله نص أدبي لشكسبير، وكذلك نص ديني من الإنجيل، تُرجما إلى العامية العربية، وكانت النتيجة أنَّ استعمال التنوع العامي في الترجمة لنص من الإنجليزية النموذجية

---

(١) Ibid.,P.٤١.

(٢) د. ليلى الصاوي: لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجتمع المصري، ص٦٨ وما بعدها.

كان غير مناسب، ومن ثَمَّ فإنَّ ترجمة النصين لم تفشل في نقل المعنى المراد فحسب، وإنَّما شوهت رسالة النصين(١).

فالصورة الكاملة لسمات النص ينبغي نقلها في الترجمة، وتأتي مفاهيم اللسانيات الاجتماعية لتساعد المترجم وتلفت الأنظار للخلفية اللغوية الاجتماعية ودلالاتها المهمة عند الترجمة. وإذا كانت اللسانيات الاجتماعية قد التفت إليها الباحثون في أهميتها في تحليل النصوص وإفادة المترجمين وتطوير إجراءاتهم في الترجمة، فإنَّه ومنذ أقل من عقدين بدأ الانتباه إلى اتجاه مهم في الترجمة يدعى بسسيولوجيا الترجمة (Sociology of Translation) أو المنعطف الاجتماعي: وهي بحث تطبيقي تجاه عالم الحياة، وموضوع جديد، ولذا فإنَّها تتجاوز عالم النص وتنتقل إلى عالم الحياة، مركزة على الطبيعة الاجتماعية للترجمة الهادفة إلى التبادل ما بين الترجمة والمجتمع تقول سابيرو (Sapiro, G.) إحدى الباحثات في السربون إنَّ الترجمة ممارسة اجتماعية، ومن ثَمَّ يمكن أن تكون الترجمة مدروسة في مستوى ظروفها الاجتماعية وفي مستوى ممارسة الترجمة، وبهذه الوجهة الترجمة تبدو ليست نتيجة لمجموعة كلية من مهارات الإدراك وإنَّما منتج لممارسات اجتماعية تعتمد على معايير ثقافية، ونتيجة لهذا فإنَّ هناك تغيرًا في الاهتمام، فنموذج إيفان زوهار بنظريته في الترجمة (تعدد الأنساق) يمكن أن يعاد صياغتها لتستعمل نظرية الفرنسي بورديو ومفهومه للهابيتوس (Habitus)(٢)، وفي إعادة الصياغة يقدم جسرًا ما بين الدراسات الترجمية والمناهج الاجتماعية والتاريجية للترجمة(٣).

---

(١) Zughoul, M and El-Badarien, M. ٢٠٠٤: P.٤٥٤.

(٢)Angelelli, C, V. ٢٠٠٥: P.١.

(٣)يعرف (Habitus) بأنَّه أنساق من الاستعدادات المستدامة والقابلة للنقل. إنَّها بنى قابلة، مسبقًا للاشتغال بوصفها بنى مبنية، أي باعتبارها مبادئ مولدة ومنظمة لممارسات وتمثلات يمكن لها موضوعيًا أن تتأقلم مع هدفها من دون افتراض رؤية واعية للغايات والتحكم الصريح في العمليات الضرورية من أجل بلوغها، ويعمل الهابيتوس بوصفه تجسيدًا ماديا للذاكرة الجماعية، معيدًا في الخلف إنتاج ما اكتسبه السلف، وهو ما يسمح للأفراد بالتوجه في فضائهم الاجتماعي وتبني ممارسات تنفق وانتماءهم الاجتماعي. انظر دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ص١٤٢-١٤٣.

ومعنى هذا أنَّ المجال المنبثق حديثًا يكُيّف المناهج الاجتماعية لدراسة العلاقات الثقافية، كما يعمل على صنع جسر مع علم الاجتماع الفرنسي، وبخاصة بورديو في دراساته عن سسيولوجيا الثقافة التي تركز على الطبيعة الاجتماعية للترجمة(١)، ومركزها في مجال الإنتاج الثقافي، ويأتي المؤتمر الذي عقد في ٢٠٠٥ وطبع تحت عنوان: بورديو وسوسيولوجيا الترجمة والترجمة الفورية(٢) ليؤكد هذا المنعطف في الدراسات الترجمية.

انتشر المنهج الجديد في دراسة الترجمة (سسيولوجيا الترجمة) وكان د. سامح حنا الباحث المصري الذي يعمل في بريطانيا في الدراسات الترجمية أحد الباحثين الذين طبقوا هذا المنهج على ترجمات شكسبير إلى العربية، ويوضح أهمية الدراسة الاجتماعية للترجمة فيقول إنَّها ليست مواجهة بين مترجم ونص أصلي فحسب، وإنَّما الأطراف المشاركة في عمليات إنتاج الترجمة وتلقيها كثيرة، ويؤدي كلٌّ منها دورًا في تشكيل الترجمة وتحديد سماتها ومعاييرها، ومسارها ومصيرها داخل الثقافة المنقول إليها، بالإضافة إلى المترجم، هناك الناشر، وسياسة النشر المتبعة، وطريقة تقديم الترجمة(٣). وطبَّق هذا على طانيوس عبده مترجم (هاملت) لشكسبير الذي يراه بعض الباحثين أيقونة للخيانة في الترجمة، فيقول د. سامح إنَّ الحكم بالخيانة أو الأمانة على أيَّة ترجمة يغلق باب البحث، وإنَّما محاولة قراءة الترجمة باعتبارها وليدة لحظة معينة ونتاجًا لعمليات تفاوض ثقافي- اجتماعي هو ما يفتح نص الترجمة على آفاق رحبة من التأويلات التي تستدعي الأفراد والمؤسسات والسياسات اللغوية ومعايير الترجمة السائدة وتوقعات مستهلكي الترجمة والجماليات السائدة التي تسهم جميعها في تشكيل

---

(١)Sapiro, G. ٢٠١٣: P.٦٠

(٢)Bielsa, Esperance. ٢٠١٠: P.١٥٦.

(٣) انظر حوار مع د. سامح حنا حول: فكرة الخيانة والأمانة في الترجمة أصبحت في ذمة التاريخ. منشور بمجلة الكلمة، العدد: ٢٧ مارس ٢٠٠٩، ص ٢٦٤.

الترجمة وصياغتها، ويذكر طانيوس عبده كمثال فيقول نجد أنَّ العامل الأساس الذي فرض معايير معينة للترجمة جعلت طانيوس عبده يحوّل مأساة شكسبير إلى دراما موسيقية غنائية. هذا العامل الأساس هو الجمهور الذي لا يرى في المسرح في تلك الفترة من منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين سوى فرجة غنائية(١). فقد كانت "خدمة" حاجات جمهور جديد من القراء هي مشروع طانيوس عبده، ومعه معظم المترجمين الشوام(٢).

على أيَّة حال كانت محاولة د. سامح تطبيق المنهج الاجتماعي في الترجمة مطبقة على ترجمات شكسبير، حللتها من زاوية مختلفة، وأثمرت عن كتاب جديدة له طبع في سلسلة بورديو والدراسات الترجمية(٣). هذه السلسلة التي كان كتاب سامح حنا رقم (١٤) فيها.

وأخلص من كلِّ ذلك إلى أنَّ الدراسات الترجمية بدأت تتطور مع تطور عدد من العلوم، لعلَّ أهمها اللسانيات والأنثربولوجيا والاجتماع، وبدأت مع الخمسينيات من القرن العشرين تتأثر بالمناهج اللغوية، وكان تطور اللسانيات نفسها وانفتاحها على علوم أخرى كعلم الاجتماع والأنثربولوجيا وعلم النفس قد أفرز فروعًا جديدة من اللسانيات، منها ما نحن بصدده وهو اللسانيات الاجتماعية التي كانت عونًا للدراسات الترجمية في الإمداد بإجراءات ومناهج أعطت الكثير من الحلول للمترجمين.

ومهما قيل من أنَّ الدراسات الترجمية قد بَعِدت أو انفصلت عن اللسانيات، لكن أليس الحال في كثير من العلوم أن تفرعت وانبثق منها علوم جديدة، تبقى هذه العلوم ضمن شبكة من العلاقات مع بعضها، وتمد بعضها بعضًا، تعطي وتأخذ

---

(١) السابق، ص٢٦٦.

(٢) د. سامح فكري حنا: ترجمات مآسي شكسبير الكبار في مصر، مقال في المنهج، ص٤١.

(٣) هذا الكتاب نشر تحت عنوان: The Socio-Cultural Dynamics of Shakespeare Translation in Egypt. Routledge: NewYork and London. ٢٠١٦.

وتكمّل بعضها بعضًا، ومن ثَمَّ تبقى الترجمة والدراسات الترجمية محتاجة لكثير من الجهود في اللسانيات بفروعها المتعددة، والأنثربولوجيا والاجتماع.

وفي الختام لقد حاولت أن أعرض علاقة وقيمة اللسانيات الاجتماعية بالدراسات الترجمية، ووضحت من خلال هذا البحث بداية العلاقة وتطورها ونماذج من نصوص عربية توضح أهمية ومساهمة اللسانيات الاجتماعية في تقديم حلول لقضايا الترجمة، متمنيًا أن أكون قد وفقت في ذلك، والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع:

أولاً العربية:

د. إبراهيم، عبدالله (٢٠١٣م): السردية العربية الحديثة (١) تفكيك الخطاب الاستعماري، وإعادة تفسير النشأة. طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت.

د. باسل، حاتم وإيان ميسون (١٩٩٥م): الخطاب والمترجم. ترجمة د. عمر فايز البيطار، طبعة جامعة الملك سعود.

د. البيومي، محمد رجب (٢٠٠٠م): معركة علمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم. مقال منشور بمجلة الهلال. عدد ديسمبر ٢٠٠٠.

د. جنتسلر، إدوين (٢٠٠٩م): في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة. ترجمة د.سعد مصلوح، طبعة الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة.

د. حنا، سامح فكري (٢٠٠٦م): ترجمات مآسي شكسبير الكبار في مصر، مقال في المنهج. بحث منشور بكتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات، سلسلة أبحاث المؤتمرات /١٠. طبعة المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

ـ (٢٠٠٩م) : حوار مع سامح فكري حنا، فكرة الخيانة والأمانة في الترجمة أصبحت في ذمة التاريخ. منشور بمجلة الكلمة، العدد (٢٧). مارس ٢٠٠٩م.

د. سليمان ، سامي (٢٠١٦م): التمثل الثقافي وتلقي الأنواع الأدبية الحديثة. مكتبة الآداب بالقاهرة.

ـ سليمان، الشيخ محمد (١٣٥٥ه): حدث الأحداث في الإسلام، الإقدام على ترجمة القرآن. الطبعة الثانية، مطبعة جريدة مصر الحرة.

ـ شاكر، الشيخ محمد (١٩٢٥م): القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية مطبعة النهضة بمصر.

د. الصاوي، ليلى(٢٠٠٢م): لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجتمع المصري. بحث منشور بكتاب: العربية، أبحاث لغوية واجتماعية

وتربوية، تحرير د. علاء الجبالي ود. السعيد محمد بدوي. طبعة معهد اللغة العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

ـ كوش، دنيس (٢٠٠٧م): مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ترجمة د. منير السعيداني، الطبعة الأولى: المنظمة العربية للترجمة ببيروت. الطبعة الثالثة.

د. عناني، محمد (٢٠٠٣م): نظرية الترجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة. القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان.

ـ (٢٠٠٤م) الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق. القاهرة، الطبعة الثالثة، الشركة المصرية العالمة للنشر– لونجمان.

ـ فاسولد، رالف(٢٠٠٠م): علم اللغة الاجتماعي للمجتمع. ترجمة د. إبراهيم الفلاي، نشر جامعة الملك سعود.

ـ فنلون، فرنسوا (١٨٦٧م): وقائع الأفلاك في مواقع تليماك. ترجمة الشيخ رفاعة الطهطاوي. طبعة بيروت.

ـ (١٩٥٧م): تليماك. ترجمة عادل زعيتر، طبعة دار المعارف بمصر.

ـ المراغي، الشيخ مصطفى (١٩٣٦م): بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها. مطبعة الرغائب بمصر.

ـ نايدا، يوجين (٢٠٠٩م): دور السياق في الترجمة– ترجمة د. محيي الدين حميدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة.

ـ الهنداوي، رمزي فتحي (١٩٩٥م): ترجمة القرآن الكريم بين واقعنا المعاش.. ومستقبلنا المنشود. مقال منشور بمجلة منار الإسلام، الصادرة عن وزارة الشئون الإسلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة، العدد السادس، السنة الحادية والعشرين، جمادي الآخرة ١٤١٦هـ/ أكتوبر ١٩٩٥م.

ثانياً: الأجنبيـــــة:

- Abdul-Raof, Hussein. ٢٠٠٤: The Qur'an: Limits of Translatability. In Faiq, Said(ed): Cultural Enounters in Translatrion from Arabic. Multilingual Matters Ltd. pp.٩١-١٠٦.
- ٢٠٠٥: Cultural Aspects in Qur'an Translation. In Long, Lynne (ed): Translation and Religion Holy untranslatable? Multilingual Matters LT D. pp.١٦٢-١٧٢.
- Ali, S, S. ١٩٨٨: Symbol, Deviation, and Cluture- Bound Expression as a Source of Error in Arabic-English Poetic Translating.In Babel: ٣٤(٤)pp.٢١١-٢٢١.
- ١٩٩٠: Critique of Aspects of Translation of the Poetry of Pre-Islamic Poets and also of "Wormhoudt's" Translation of al -Mutanabbi.In Meta: ٣٥(٤)pp.٧٣٢-٧٤١.
- Al- Masri, Hanada. ٢٠٠٩: Translation and Cultural Equivalence: A study of Translation Losses in Arabic Literary Texts. In Journal of Language and Translation.Vol:١٠(١)pp.٧-٤٤.
- Anderman, Gunilla. ٢٠٠٧: Linguistics and Translation. In Kuhiwczak,P. and Littau, K(eds): A Companion to Translation Studies.Multilingual Matters LTD.pp.٤٥-٦٢.
- Angelelli, Claudia, V. ٢٠٠٥ (ed) The Socilogical Turn in Translation and Interpreting Studies. John Benjamins Pub: Amsterdam and Philadelphia.
- Arberry, A, J. ١٩٥٧: The Seven Odes. Cambridge:Cambridge University Press.
- Aziz, Yowel. ١٩٨٢: Cultural Problems of English-Arabic Translation. Babel. ٢٨ (١) ٢٥-٢٩.
- Bleaney, Heather. ٢٠٠٤: The Mucallaqat in the West: a Brief Bibilorgaphical Survey.In Hoyland,R,G and Kennedy,P,F(eds): Islamic Reflections Arabic Musings. Gibb Meorial Trust. pp.١٢٠-١٤٣.
- Barkho, Leon, Y. ١٩٨٧: Cultural Problems of Arabic- English Political Translation. Babel: ٣٣ (٣) ١٤٣-١٥١
- Bassnett, S. ١٩٩٨: The Translation Turn in Cultural Studies. In Bassnett,S and Lefevere, A: Constructing Cultures, Essays on Literary Translation. Multilingual Matters.pp.١٢٣-١٤٠.
- Bassnett, S and Lefevere, A. ١٩٩٠: Introduction: Proust's Grandmather and Thousand and one Nights.The Cultural Turn in Translations Studies. In Bassnett, S and Lefevere, A: Transaltion, History and Culture.Pinter Bublishers: London and New York.
- Bielsa, Mialet, E. ٢٠١٠: The Sociology of Translation: Outine of an Emerging Field. In MonT: Vol(٢) pp.١٥٣-١٧٢.
- Catford, J, S. ١٩٦٥: A Linguistic Theory of Translation Oxford University Press.
- Chaffy, P. N. ١٩٩٧: Language, Law and Reality, In Rybinska, Zofia (ed): On the Practice of Legal and Specialized Translation. Warsaw.
- Chestermans, A. ٢٠٠٦: Questions in the Sociology of Translation. In Durate, F, J. Rosa , A and Seruya, T(eds): Translation Studies at the Interface of Disciplines. John Benjamins Pub. Amsterdam/ Philadelphia.pp .٩-٢٧.

- Duranti, A. ٢٠٠٣: Langauge as Culture in U.S. Anthroplogy.In Current Anthroplogy, Vol:٤٤, N: ٣, pp.٣٢٣-٣٤٧.
- El-Yasin, M, L. ١٩٩٧: The Translatability of Arabic Jokes into Enlgish. Meta: ٤٢ (٤) ٦٧٠-٦٧٦.
- Fawcett, P. ١٩٩٧: Translation and Language. Linguistic Theories Explained. St. Jerome Publishing: Manchester uk and Northampton, M,A.
- Firth, J, R. ١٩٦٨: Linguistics and Translation. In Plamer,F,R(ed): Selected Papers of J, R, Firth ١٩٥٢-١٩٥٩. Longmans.
- Gregroy, M, G. ١٩٨٠: Perspectives on Translation from the Firthain Tradition. Meta:٢٥ (٤)٤٥٦-٤٦٦.
- Halliday, M, A, K. McIntosh, A and Strevens, P. ١٩٦٤: The Linguistic Science and Language Teaching. London: Longman.
- Hare,T. ٢٠١٤: Translation and the Sacred: Translation Scripture. In Bermann, S and Porter, C.(eds): A Companion to Translation Studies. Wiley Blackwell, pp.٥٣١-٥٤٢
- Hatim, B. and Munday, J. ٢٠٠٤: Translation: An Advanced Resource Book. Routledge: London and New York.
- Hoijer, H. ١٩٦٢: The Relation and Language to Culture.In tax, sol.(ed): Anthropology Today: Selections. Phoenix books, the University of Chicage Press.pp.٢٥٨-٢٧٧.
- House, J. ٢٠٠٠: Linguistic Relativity and Translation.In Putz, Martin and Verspoor, M (eds): Exploration in Linguistic Relativity.John Benjamins.Pub: Amsterdam/Philadilfia.pp.٦٩-٨٨.
- ٢٠١٢: Text Linguistic and Translation.In Gambier, Yves. and Doorslaer, L(eds): Handbook of Translation Studies.Vol:٣.John Benjamins Pub: Amsterdam/Philadelphia.pp.١٧٨-١٨٣.
- Huang, Jingjing, C. ٢٠١٤: The Culture turn in Translation Studies. In open Journal of Modern Linguistics.Vol:٤,pp.٤٨٧-٤٩٤.
- Kattan, N. ١٩٨٢: Peut-on Traduire les civilisations. Meta: ٢٧(٤) pp.٤٠٢-٤٠٤.
- Kolawole, S, O. ٢٠١٣: interdisciplinarity in Language, Linguistics and Translation. In international Journal of Humanities and Science Invention. Vol: ٢(٩)pp.٧-١٢. In www.ijhssi.org
- Larose, R.١٩٨٩: Theories contemportaines de la traduction.٢edition. Presses de l'universite du Quebec.
- Long, Jixing. ٢٠١٣:Translation Defingtions in Differnet paradigms.In http://dox.doi.org
- Machuel, L. ١٩١٢ (ed) Pages Choisies des grands Ecrivains,Les auteurs arabes. Librairie Armand Colin.Paris.
- Mdallei, Sabeur. ٢٠٠٣: Translating Childern's Literature in the Arab World. Meta ٤٧ (١-٢) pp.٢٩٨-٣٠٦.
- Mounin, G. ١٩٦٣: Les Problems theoriques de la traduction.Paris.Gallimard.

- Murray, S.١٩٩٤: Theory Groups and the Study of Language in North America: A Social History. John Benjamins: Amsterdam/ Philadelphia.
- Munday, J. ٢٠١٤: Text Analysis and Translation. In Bermann,s. and Porter, C (eds): Companion to Translation Studies.Wiley Blackweel. pp.٦٩-٨١.
- Mussche, E and Willems, K. ٢٠١٠: Fred or Farid, bacon or baydun ('egg')? Proper Names and Cultural-Spcific in the Arabic Translation of Harry Potter. Meta:٥٥ (٣)pp.٤٧٤-٤٩٨.
- Newmark, P. ١٩٨٨: Approaches to Translation. Prentice Hall international, NewYork.
- Nida, E. ١٩٤٥-١٩٦٤: Linguistics and Ethnology in Translation Problems. In Hymes, D (ed)١٩٦٤: Language in Culture and Society. Harper and Row Pub, New York. pp.٩٠-١٠٠.
- ١٩٤٧: Bible Translating. American Bible Society. NewYork.
- ١٩٦٤: Toward A Sience of Translating. Leiden: E.J.Brill.
- ١٩٧٦: A Framework for the Analysis and Evalutation of Theories of Translation.In Brisln, Richard, W(ed): Translation Applications and Research. Gardner.Press.New York. pp.٤٧-٩١.
- ١٩٨٦: Sociolinguistics and Transalting. In Fishman,J,A.Tabouret-Keller, A. Clyne, M.and Abdulaziz, M (ed):The Fergusonian Impact. Mouton de Gruyter,Berlin, New York, Amsterdam. pp.٤٧١-٤٧٧.
- ١٩٩١: Theories of Translation. In Traduction,Terminologie, Redaction.Vol: ٤(١) pp.١٩-٣٢.
- ١٩٩٤: The Sociolinguistics of Translating Canonical Religious Texts. In Traduction,Terminologie,Reduction.Vol:٧(١)pp.١٩١-٢١٧.
- ٢٠٠٣: Language and Culture: Two Similar Symbolic Systems.InPetrilli, Susan (ed):TranslationTranslation. Radopi, Amsterdam- New York. pp.٤١٣-٤٢٤.
- Nida, E.and Taber, C. ١٩٦٩: The Theory and Practice of Translation. United Bible Societies, E.J. Brill, Leiden.
- Pardo, Raquel. ١٩٩٩: The Translatability of Texts: A Historical Overview. Meta:٤٤(٤)PP.٥٤٦-٥٥٩.
- Pergnier, M. ١٩٨١: Theorie linguistique et theorie de la traduction.Meta ٢٦ (٣) pp.٢٥٥-٢٦٢.
- ١٩٧٨: Language- Meaning and Message- Meaning: Towards a Sociolinguistic Approach to Translation.In Gerver,D.and Sinaiko, W. H (eds): Language Interpretation and Communication. Plenum Press. New York and London.pp.١٩٩-٢٠٤.
- ١٩٩٣: Les Fondements Sociolinguistiques de la traduction. Edition remaniee. Presses universities de Lille.
- Ramos, Pinto, S. ٢٠١٢: Sociolinguistics and Translation.In Gambier, Y. John Benjamins Pub: Amsterdamy/Philadelphia. pp.١٥٦-١٦٢.
- Sanchez, M. ٢٠٠٧: Translation and Sociloinguistics. Babel: ٥٣(٢) pp.١٢٣-١٣١.

- Sapir, E. ١٩٢٩-١٩٤٩:The Status of Linguisties as a Sience. in Mandelbaum, D (ed): Selected Writing of Edward Sapir.Berkely and Los angles. University of California Press.pp.١٦٠-١٦٦.
- Sapiro, G. ٢٠١٣: Translating and Identity: Social of the Translators of Hebrew Literature in Franch.In Traduction,Terminologie,Redaction.Vol:٢٦ (٢) pp.٥٩-٨٢.
- Serban,Adriana.٢٠١٣: Linguistic Approaches in Translation Studies.In Millan, C and Bartrino, F.(eds): The Routedge Handbook of Translation Studies. Routledge: Longon and NewYork. pp.٢١٣-٢٢٧.
- Sevry, J. ١٩٩٦: Niveaux de langue et manipulations, ideologique: a propos de traductions de Chaka une Epopee Bantoue de Tomas Moflo.In Palimpestes, No:١٠. pp.١٤١-١٥٤.
- Snell-Hornoby, M. ١٩٩٠: Linguistic Transcoding or Cultural Transfer? A Critique of Translation Theory in Germany.In Bassnett, S and Lefevre, A (ed):Translation Theory in Germany. In Bassnett, S and Lefevre, A (ed): Translation, History and Culture. Pinter Publishers, London and New York. pp. ٧٩-٨٦.
- Taber, C. ١٩٨٠: Sociolinguistic Obstodes to Communication through Translation. Meta: ٢٥(٤) pp. ٤٢١-٤٢٩.
- Tradgill, P. ١٩٨٣: Socilinguistics: An Introduction to Language and Society. Penguin Books :Ltd.
- Toelle, Heidi. ٢٠٠٩: Les Suspendues Al-Muallaqat, Traduction, Presentation, Notes chronologie et bibliographie. Gf Flammarion, Paris.
- Tamson- Wohlgemuth, G. ٢٠٠٤: A Socialist Approach to Translation: A Way Forward. Meta:٤٩ (٣)pp. ٤٩٨-٥١٠.
- Vainovski-Mihai, I. ٢٠٠٤: Cultural Determinations in Translating Al-Mallaqat.In Romano- Arabic (٤) pp.٥٩-٦٦.
- Wardaugh, Ronald. ١٩٩٨: An Introduction to Sociolinguistics.Oxford, Blackwell.
- Watt, Jonathan, M. ٢٠٠٥:The Contributions of Eugene, A, Nida to Sociolinguistics. In Bible Translator.Vol: ٥٦ (١) pp.١٩-٢٩.
- Wendland, Ernst, R.١٩٨٥: Language, society and Bible Translation Bible Society of South Africa.
- Zughoul, M. and El-badarien, M.٢٠٠٤: Diglossia in Literary Translation: Accommodation into Translation Theory. Meta: ٤٩ (٢), pp. ٤٤٧-٤٥٦.
-

تم بحمد الله